



مركز الملك عبد العزيز
للحوار الوطني

أسرار الحوار والإقناع

نماذج حوارية من السيرة النبوية

سليمان بن عوض قيمان

الرياض

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

ح

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
أسرار الحوار والإقناع.. نماذج حوارية من السيرة النبوية، مركز الملك
عبدالعزيز للحوار الوطني . الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ
١٧ × ٢٤ سم.

ردمك: ٤ - ٦ - ٩٠١٢٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الحوار ٢- الإقناع ٣- الأخلاق الإسلامية أ.العنوان

ديوي: ١٧٧,٢ ١٤٣١/١٠٤٢ هـ

الطبعة الثالثة، ١٤٣٨هـ

رقم الإيداع: ١٤٣١/١٠٤٢ هـ

ردمك: ٤ - ٦ - ٩٠١٢٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

جميع حقوق الطبع محفوظة

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

الرياض، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

ص.ب. ٨٩٨٦٦، الرياض ١١٦٩٢

البريد الإلكتروني: rs@kacnd.org

www.kacnd.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



فاتحة القول

قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (١)

الحوار ضرورة بشرية وهو أعلى سُبُل التواصل

وأكرم طرائق الكلام..

الحوار أرفع مآثر الآدميين، وأرقى مناهج التثقيف والتعليم.

الحوار كالنقش يتجذّر في النفوس وله أثر دائم على السلوك.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١١	تمهيد
١٩	الفصل الأول
٢٠	تعريف الحوار في لغة العرب
٢٦	كان الحوار له خلق
٣٩	الفصل الثاني: الحوار من سيرة المختار، الحوار لماذا.
٤٠	المبحث الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين
٦٩	المبحث الثاني: حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب
٧٠	المبحث الثاني (أ): حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود
٨٨	المبحث الثاني (ب): حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع النصارى
٩٧	المبحث الثالث: حوار النبي مع الشعوب الحرة والأمم المتحضرة
١١٥	المبحث الرابع: حوار النبي مع القتلة وأرباب الاغتيالات
١٢٥	المبحث الخامس: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأصحاب
١٤٩	المبحث السادس: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المراهقين
١٦٥	المبحث السابع: حوار النبي صلى الله عليه وسلم بي بيته
١٨٣	المبحث الثامن: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الملائكة
١٩٣	الخاتمة
١٩٩	المصادر والمراجع

تمهيد

تهيد

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلق أجمعين، ورازقهم: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (١).
والصلاة والسلام على رسول الأُميين، وقرّة عيون الموحدين، المبعوث إلى الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:
لقد فتحت البشرية عينها على الكون، لتبصر أول ما تبصر وتسمع أول ما تسمع حواراً يدور في السماء، بين الرب الخالق وبين الإنسان وهو في صورة الذرّ وهو لا يزال في صلب أبيه آدم عليه السلام: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) (٢). إنه حوار الفطرة التي بثّها الخالق المبدع في نفوس خلقه من بني آدم، إيماناً به سبحانه، وإقراراً بربوبيته، واعترافاً به إلهاً واحداً لا شريك له، وفرداً صمداً لا ندّ له.

وليس ذلك فحسب، بل إن الإنسان منذ نشأته الأولى، وإسجاد الملائكة له بياناً لكرامته وفضله لما علّمه الله تعالى إياه من الأسماء والأوصاف، مروراً بإنعام الله تعالى عليه وإدخاله دار الكرامة «جَنَّةُ الْخُلْدِ»، وخروجه منها، ومن ثم هبوطه إلى الأرض، واختياره عمارة الأرض والقيام بواجب الخلافة فيها، مرّاً الإنسان منذ النشأة الأولى بجملته مراحل وعدة انتقالات، ولازمه فيها كله جملة متصلة الحلقات من النقاشات والحوارات والتجاوبات الضرورية.

حوار الملائكة:

إنّ عملية نشوء الإنسان ذاته لم تتم قبل حوار جرى بين الخالق العظيم وثلة من الملائكة المقربين، حول خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، وفرص نجاحه

(١) سورة هود، الآية: ٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٧.

في القيام بواجب عمارتها: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)^(١).

مجادلة الشيطان بالباطل :

من العجائب التي انتشرت في جنّات القرآن، وبين سورِهِ: أصداء ذلكم الجدال العجيب بين الربِّ المنعم العظيم، والشيطان الملعون الرجيم؛ فالشيطان الرجيم يجادل ويجاوب، وينال فرصته في البيان، ويسمع الإجابة ويأتيه الردُّ – من الله العليم الحكيم – على الرغم من كُفره وكِبْره وسوء أدبه، إذ أمره الله تعالى بالسجود لهذا المخلوق الجديد والخليفة المنتظر «آدم» عليه السلام، فأبى واستكبر، وساق جملة من الاعتراضات، لم تخلُ من جهل وكِبْر وسوء أدب، فسأله الربُّ المنعم العظيم، عن نوازع هذا العصيان ودواعي ذلكم الجهل: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)^(٢). فأتى الشيطان اللعين، بأجوبة غاية في السوء، فكان جوابه أقبح من فعله: (قَالَ لَمْ أَكُنْ لِسُجْدٍ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)^(٣).

وأتى بالذرائع الساقطة، والحجج الواهية كقوله: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)^(٤)، فأتاه الجواب والجزاء معاً من الله العليم الحكيم: (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)^(٥).

(١) سورة البقرة، الآيات من: ٢٠-٢٣.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٥) سورة الحجر، الآيات من: ٣٤-٣٥.

الخليفة التائب :

وحين أسعد ربُّ العالمين آدم عليه السلام، فأدخله الجنة كرمًا منه وفضلًا حذَّره أبلغ تحذير من الشيطان وشره: (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْوَجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) (١)، فخالف آدم عليه السلام وصية ربه عزَّ وجلَّ، ونسي ذلك التحذير الشديد، فدار على إثر ذلك حوار جديد بين آدم الذي عصى ربه فغوى، و الرَّبُّ المُنعم المتفضل: (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) (٢).

فأجاب آدم عليه السلام وزوجه حواء جواب المتعذر: (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٣)، فعفا الله تعالى عنهما: (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (٤)

الأنبياء والحكمة:

ثم نسج الأنبياء بعد ذلك على منوال الحكمة: ودرجوا في مسالكها، فاخترتوا أحسن سُبُل البلاغ، وأكمل وسائل التأثير، لقد اختاروا «الحوار والمناظرة والجدال بالحسنى»، فجعلوه مع وسائل أخرى منهجاً يبلغون به رسالات الله، ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، إذ وجدوا في «الحوار» غايتهم، وأدركوا من خلاله بُغيتهم، في هداية من طلب الهدى، وإقامة الحجة البالغة على من استكبر وأبى.

ولم يتخوَّف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الدخول في عملية الحوار، ولم يأنفوا من الخوض فيها، ولو كان الأمر متعلقاً بأبين الحقائق، وأوضح البدهيات: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

(١) سورة طه، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

بَعْدَهُمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ . قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١) .

وهكذا أداروا الحوار وخاضوا المناظرات رغبة في هداية الناس، وأملاً في حصول العافية لهم، فآمن قوم وكفر آخرون، وكان لسان حال الأنبياء يقول: (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) (٢) .

ختامه مسك :

وقد ختمت النبوات بمحمد صلى الله عليه وسلم: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (٣) .

وقد وعى قلبه صلى الله عليه وسلم التجربة الإنسانية في الدعوة والبلاغ كاملة، وتلقى قلبه القرآن العظيم؛ وفيه خلاصة التجارب النبوية، والمصطفى من الحكمة البشرية، والنقي من الأفكار السوية، فكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم بحق المسك الذي يختم به شراب أهل الجنة، علامة على أنعم لذة، وأحلى طعم، وأطيب عطر، وما انتهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم الحوار مسلكاً، واختياره المجادلة بالحسنى سبيلاً أساسياً في الدعوة إلا دليل على تمكنه، وكمال نفسه، وسعة أفقه، وحسن إدراكه صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

(١) سورة إبراهيم، ٩-١١ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠ .

موضوعات الكتاب ومباحثه الأساسية :

يتكون الكتاب من :

أولاً : تمهيد ومقدمة :

ثانياً : النماذج الحوارية من سيرة المختار صلى الله عليه وسلم :

وهي ثمانية مباحث .

المبحث الأول : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين .

المبحث الثاني : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

المبحث الثالث : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأمم المتحضرة والشعوب الحرة .

المبحث الرابع : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع القتل والمتربصين .

المبحث الخامس : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأصحاب .

المبحث السادس : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب والمراهقين .

المبحث السابع : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته وأهل بيته .

المبحث الثامن : المبحث الثامن : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الملائكة الكرام .

ثالثاً : الخاتمة .

الفصل الأول

مقدمة

مقدمة:

تعريف الحوار والجدال:

الحوار والجدال تلاقٍ وافتراق

الحوار في لغة العرب:

من الحَوْر وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء^(١).

قال الشاعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوته - يحور رماداً بعد إذ هو ساطع.

وفي الصحاح:^(٢)

حار يحور حوراً: رجع، ومنه قوله تعالى: (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ)^(٣) أي: ظنَّ

أن لن يرجع إلى ربه.

وفي القاموس المحيط:

وتحاوروا: أي: تراجعوا الكلام بينهم والتحاور: التجاوب^(٤) والمحاورة: مراجعة

المنطق والكلام في المخاطبة^(٥).

خلاصة القول في معاني الحوار في لغة العرب:

تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والرد^(٦).

قلت: ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى فيما يجري بين الكافرين يوم القيامة:

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ

الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)^(٧).

(١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة (يحيى محمد زمزمي) ص: ١٩.

(٢) الصحاح في اللغة ٢/٦٣٨.

(٣) سورة الانشقاق، الآية: ١٤.

(٤) القاموس المحيط: ١٦/٢.

(٥) لسان العرب ٤/٢١٧.

(٦) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة (يحيى محمد زمزمي) ص: ١٩.

(٧) سورة سبأ، الآية: ٣١.

الحوار ورد بلفظه في القرآن في ثلاثة مواضع على النحو الآتي :

١ . قوله تعالى : (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)^(١) وجاءت هنا بمعنى يراجعه الكلام ويجاوبه^(٢) .

٢ . قوله تعالى : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا)^(٣) وجاء هنا أيضاً بمعنى يراجعه الكلام ويجاوبه .

٣ . قوله تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)^(٤) وجاء هنا بمعنى : والله يسمع ما تتراجعان به من الكلام^(٥) .

خلاصة القول في معاني الحوار في القرآن الكريم أنه :

تراجع الكلام والمخاطبة والمجاوبة فيه :

الحوار في السنة ورد بمشتقاته وهي : (حار ، والحوار ، ومحاورة) واختلفت

معانيها :

حَارَ : عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ومن دعا رجلاً بالكفر ، أو قال : عدو الله ، وليس كذلك ، إلا حار عليه)^(٦) . وحار عليه : أي رجع عليه^(٧) .

الْحَوْرُ : عن عبد الله بن سرجس المزني رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر يتعوذ من وعشاء السفر « أي : الشدة والمشقة » ، وكآبة المنظر « أي : تغيير النفس من الهم والحزن » ، والحوار بعد الكور « أي : النقصان وفساد الأمور بعد الزيادة » ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال)^(٨) .

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٤.

(٢) زبدة التفسير للأشقر، ص: ٣٨٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٧.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٥) زبدة التفسير للأشقر، ص: ٧٢٤.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان. باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، برقم: ١٢١.

(٧) انظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٨٤٢٠.

(٨) أخرجه إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٤٢٠/١.

والحوار بعد الكور: أي: الرجوع عن الاستقامة والنقص بعد الزيادة^(١).

محاورة: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (كانت بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر فانصرف عنه عمر مغضباً فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له قلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء: ونحن عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم هذا فقد غامر قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقصَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأننا كنت أظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب تفسير القرآن - تفسير سورة البقرة، باب (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) برقم: ٤٣٨٢ .

زبدة القول في تعريف الحوار بعد استعراض معانيه في اللغة والقرآن والسنة:

تعريف الحوار، لقد وقعت عيني فيما طالعتُ من المكتوب على ثلاثة تعريفات، كلها حسن:

● مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين^(٢).

ويردُّ عليه خلوه من بيان حال المتحاورين من ناحية الأدب ومنهج الكلام، ويرد عليه أيضاً عدم توضيحه للسمة العامة للحوار، إذ يُفَرِّق عادة بين الحوار والجدال؛ الأول يغلب عليه الهدوء، والثاني يغلب عليه التَّعَصُّب .

(١) انظر التمهيد لما في الموطأ من المعاني: ٢٥٢/٢٤، وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٨٥/٤.

(٢) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وأدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني ص ٥.

● مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة^(١). وهو تعريف جيد: إذ وسَّع دائرة الحوار ليشمل أكثر من اثنين، وأشار إلى أدب الحوار العام وهو الهدوء وعدم الخصومة.

١. حديث بين طرفين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة؛ فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبُعد عن الخصومة والتَّعصب^(٢). وقد وقع اختياري على التعريف الثالث؛ لكونه أدقَّ التعريفات وأشملها.

● الجدل في لغة العرب المجادلة:

من الجَدَل: وهي شِدَّةُ الفَتْلِ، وَجَدَلْتُ الحَبْلَ جَدَلًا: إِذَا شَدَدْتُ فَتْلَهُ بِإِحْكَامٍ، وَالجَدِيلُ: هُوَ زِمَامُ النَّاقَةِ.

قال امرؤ القيس:

وَجَدَلُ لَطِيفٍ كَالجَدِيلِ مُخَصَّرٌ وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّلِّ^(٣)
وَالجَدَلُ: اللَّدُّ فِي الْخِصْمَةِ وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا^(٤).

وَجَادَلَهُ أَي: خَاصَمَهُ.

وَرَجُلٌ جَدِلٌ: إِذَا كَانَ أَقْوَى فِي الْخِصَامِ.

قلتُ: وَقَدْ ذَمَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ فَقَالَ: (أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدَّ الْخِصْمِ)^(٥).

(١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى محمد زمزمي ص٢٢.

(٢) في أصول الحوار، وحدة البحوث بالندوة العالمية للشباب الإسلامي ص١١.

(٣) انظر الصحاح في اللغة ٨٢/١.

(٤) لسان العرب ١١/١٠٥.

(٥) الصحاح ٤/١٦٥٢.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، «سورة البقرة»، باب وهو ألدُّ الخصام عن عائشة رضي الله عنها برقم ٤٢٦٩.

خلاصة القول في معاني الجدل في لغة العرب :

الجدل في اللغة : هو الشدة والقوة وإحكام الشيء .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : المجادلة : المنازعة لا لإظهار الحق، بل لإلزام الخصم^(١) .

الجدل في القرآن الكريم :

ورد لفظ الجدل بتصريفاته الكثيرة في القرآن الكريم في ٩ تسعة وعشرين موضعاً جاءت كلها في سياق الذم، إلا في ثلاثة مواضع وهي :

١ . قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)^(٢) والمراد بالمجادلة هنا : أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين خطاب^(٣) .

٢ . قوله تعالى : (وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)^(٤) .

ولا تجادلوا هنا : أي : أن يقصر جوازه على المواطن التي تكون المصلحة في فعله أكثر من المفسدة أو على المواطن التي المجادلة فيها بالمحاسنة لا بالمخاشنة .

٣ . وقوله تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)^(٥) .

تجادلك في زوجها : أي : تراجعك الكلام في شأنه^(٦) .

(١) انظر آداب البحث والمناظرة ٧٥/٢ .

(٢) سورة النحل، ١٢٥ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٦١٣/٤ .

(٤) سورة العنكبوت: ٤٦ .

(٥) سورة المجادلة: ١ .

(٦) انظر فتح القدير للشوكاني ١٦٥/٧ .

الجدل في السنة النبوية:

والسنة كالقرآن فعامة ما ورد فيها من النصوص في الجدل متوجه إليه بالدم ومنه:

حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)^(١)،^(٢).

على أن الجدل جاء في موضع الحمد في السنة الشريفة في مواطن يسيرة منها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا، بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار)^(٣).

قلت: والجدل متى أطلق ولم يقيد بالإحسان كان في الغالب مذموماً، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم المشتهر: (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)^(٤).

وربض الجنة: أي أدناها. والمراء: مصدر كالمماراة وهي المجادلة^(٥).

تعريف الجدل:

الجدل اصطلاحاً: إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهم على التدافع والتنافي بالعبرة، أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة^(٦).

(١) سورة الزخرف: ٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. باب: ومن سورة الزخرف برقم: ٣٢٩٢ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الصغرى في كتاب الإيمان وشرائعه. باب زيادة الإيمان برقم: ٤٩٥٨ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الألباني في تعليقه على السنن وهو عنده برقم: ٤٦٣٧.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب. باب في حسن الخلق برقم: ٤٢٢٣، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٥) انظر دليل الفالحين شرح رياض الصالحين ٩١/٥.

(٦) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعته وشروطه وأدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني ص ٩.

فائدة:

الجدل لم يؤمر به ولم يُمدح في الكتاب أو السنة على إطلاقه، وإنما الممدوح منه ما قُيِّدَ بالحُسنى والحق.

الفرق بين الحوار والجدل:

ويفرق العلماء بين الحوار والجدل، حيث إنَّ الجدل مظنة التعصب والإصرار على نصره الرأي والانتصار للنفس بالحق أو بالباطل: والتعسف في إيراد الشبه والظنون على الحق إذا جاء من الطرف الآخر^(١).

وبين الحوار والجدل فرق أيضاً، إذ إنهما يلتقيان في كونهما حديثاً أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أنَّ الجدل فيه لَدَدٌ وخصومة وشدة في الكلام مع التمسك بالرأي والتعصب له، والغالب على الحوار الهدوء ومجانبة التعصب^(٢).

الحوار العصري:

مما سبق يتبين أن الحوار هو تبادل المعلومات والأفكار والآراء، مكتوباً أم شفويّاً، وينعقد الحوار بمجرد التعرف إلى وجهات نظر الآخرين وتأملها وتقويمها والتعليق عليها، ومن هذا الفهم يمكن أن يطلق الحوار على تلاقح الثقافات بعضها ببعض وما يحصل من جراء ذلك من تلاقي المتحاورين وتصويب بعضهم لبعض، وتأثير بعضهم في بعض^(٣).

كان خلقه الحوار:

عن سعد بن هشام بن عامر رضي الله عنه قال: أتيت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أمَّ المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: (كان خُلِقَ القرآن، أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) قلت: فإنني أريد أن أتبتَّل، قالت: لا تفعل، أما تقرأ: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

(١) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني ص٩.

(٢) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة (يحيى محمد زمزمي) ص٢٦.

(٣) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني ص١٠.

الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ - فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وُلد له (١). فكل خُلُقٍ محمودٌ في القرآن فهو له صلى الله عليه وسلم خُلُقٌ، وكلُّ فضيلة في القرآن هي جزء لا يتجزأ من سلوكه ومعاملته، فقد تشرّبت روحه القرآن، واختلطت بوادره بالوحيء فاستقرت في صميم الروح منه، وترسّخت في سويداء الفؤاد فيه، ففاضت أخلاق القرآن على جوارحه، وسالت آداب القرآن في كلماته وحركاته وسكناته، فكان صلى الله عليه وسلم قرآناً حياً ناطقاً في صورة إنسان من لحم ودم.

هذا وإن من أظهر أخلاق القرآن، وأكثرها تكراراً وأشدّها انتشاراً في هذا الكتاب المعجز «خُلُقُ الحوار».

القرآن والحوار:

القرآن كلة من أوله إلى آخره ومن أقصاه إلى أقصاه «كتاب حوار» يستوي في ذلك المكّي والمدني من سوره وآياته، وأنت تلحظ هذه النزعة نحو الحوار والإقناع، والسؤال والجواب والكلام والرّد عليه من جهة العقل والمنطق، تلحظها في مختلف موضوعات القرآن الكريم، فدعوة القرآن هي دعوة تحترم العقل، وتحضُّ على التجاوب والتحاور، وتقبل تعدّد الرؤى والألفكار، لا على سبيل التراضي للتوقف عند حدود التنوع الطبيعي للنّاس فحسب، ولكن على سبيل التحاور والتجاوب وتلاقح الأفكار أيضاً، وكلُّ ذلك في سياق البحث عن الحقّ وبيانه، والحثُّ على التمسك به والعصُّ عليه، وإظهار خلافه من الباطل، والتنفير منه، والرّد عليه.

الحوار منهج الدعوة المحمدية:

لقد كان الحوار علامة ثابتة، ولحمة راسخة في كل مراحل السيرة النبوية وفي مختلف مواطن الدعوة المحمدية، وأنت ترى أنّ أحب الكلام إلى الناس، وأقربه

(١) أخرجه أحمد في مسنده في مسند الأنصار - حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، برقم: ٢٤٠١٠، وقال عنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٣٤): صحيح لغيره، وقد أوردته رحمه الله في صحيح الجامع برقم: ٤٨١١ وقال: حديث صحيح.

إلى قلوبهم، وأكثره قبولاً عندهم هو «التجاوب»، الذي يشارك فيه السامع المتكلم في النطق باللسان لفظاً، والتفكير والإعمال عقلاً.

ومن عجائب هذا النبي صلى الله عليه وسلم وقوة إدراكه وسعة حلمه - على الرغم من أنه كان ينطق بالوحي، ويتكلم بالحق - أن من السمات الظاهرة في كلامه الحوار أي «التجاوب».

وفي هذا دلالة واضحة جلية على أن منهج الحوار والتجاوب والأخذ والرد والسؤال والجواب، والتشارك اللفظي والوجداني، كان جزءاً رئيساً من تركيبة الكلام، ومكوّناً أساسياً من مكوّنات الخطاب الدعوي للنبي الهادي «محمد» صلى الله عليه وسلم.

سَيْلُ الْحوار:

ولذا فإنّ هذا السيل المتتابع من الحوار ومراجعة الكلام بين الرب العظيم وعامة خلقه من الإنس والجن والملائكة، من أطاع منهم ومن عصى، ومن آمن ومن أبى، منذ نشأتهم وحتى تقسيم الناس إلى فريقين:

فريق في الجنة وفريق في السّعير، كان يطرقُ سمع المصطفى صلى الله عليه وسلم صباح مساء، في صلاته بالناس إماماً، وبيانه للحق الذي معه، وفي قيامه بالقرآن ليلاً وقراءته الطويلة، فكيف لا يكون الحوار له بعد ذلك خُلُقاً وسيمة عامة، بل لقد صار الحوار سجية تجري في عروقه مع الدّم، وتتردّد في صدره مع النفس.

لذا فإنّ القول بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم «كان من خُلُقهِ الحوار» هو قول يوافق الواقع، وينسجم مع الحقائق والنُّقولات المستفيضة الثابتة عن تخلُّقه صلى الله عليه وسلم بالحوار بوصفه أصلاً من أصول الدعوة، وأسلوباً أساسياً من أساليب هداية الناس، وتربية الأصحاب والآل والأحباب، وإقناع الخصوم، وإقامة

الحجة عليهم، والبلاغ الذي أوجبه الله عليه. فاللهم صلّ على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أثر الالتصاق بالقرآن على نبي الحوار صلى الله عليه وسلم:

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يستحي أن يحاور أو يأبى أن يناظر، حتى في أكثر الموضوعات دقة وأشدّها أثراً كما سيأتي بيانه في الفصل الثاني، كيف لا وبين يديه في الكتاب العزيز حوار حول أصل الأصول وأحقّ الحقائق، وله في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبله أسوة حسنة: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) (١).

أين كانت أوربا حين كان النبي صلى الله عليه وسلم يحاور الناس:

في مطلع القرن الأول للهجرة المباركة، الذي يوافق القرن السادس للميلاد، قضى النبي صلى الله عليه وسلم جلّ وقته محاوراً على كل المستويات، يحاور ويناضر ويناقش ويسوق الحجج والدلائل على صدق دعوته ووحدانية ربه، وحقائق اليوم الآخر أمام القريب والبعيد، والحرّ والعبد، والعدوّ والصديق، كانت الكنيسة تنصب المشانق لخصومها، وتسمّل الأعين، وتعلّق المخالفين على أعواد الصلب، وتحرق الناس أحياءً، وتحكم بسيف الهرطقة على كل ذي فكرٍ وعلى كل صاحب رأي.

« قُل »:

إن الأمر الإلهي لنبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن « قُل » هو في حقيقته دعوة صريحة للحوار، والتجاوب مع الناس، وهو في القرآن كثير بحيث لو جُمع لما وسعنا إلا أن نقول عن القرآن إنه كتاب حوار، ولما وسعنا أن نصف المرسل به صلى الله عليه وسلم إلا بـ « نبي الحوار ».

وقد تتبعتُ هذا الأمر الإلهي الفريد « قُل » للنبي صلى الله عليه وسلم الثلث الأول من القرآن الكريم من سورة الفاتحة وحتى خاتمة سورة التوبة، وأحصيتُ ما جاء فيها من الآيات التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالقول والتخاطب، في ثلاثة سياقات هي: (قل، وقل، فقل) فوجدتها قد بلغت مئة وعشر آيات (١١٠ آيات).

وقد ظهر لي أن الأمر الإلهي « قُل » مجرداً أو مضافاً إليه الواو والفاء جاء على ستة أنواع:

١ . دعاء ورجاء: وقد ورد فيه آية واحدة، وهي قول الله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^(١).

٢ . تحد وإعجاز: وقد ورد فيه خمس آيات، ومثاله قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^(٢).

٣ . إبعاد وتهديد: وقد ورد فيه خمس عشرة آية، ومثاله قوله تعالى: (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)^(٣).

٤ . إجابة سؤال وتشريع: وقد ورد فيه ست عشرة آية، ومثاله قوله تعالى:

(١) سورة آل عمران: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ٩٤.

(٣) سورة الأنعام: ١٤٧.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)^(١).

٥ . بيان وتوضيح: وقد ورد في سبع وعشرين آية، ومثاله قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ)^(٢).

٦ . أمر بالحوارة والمناظرة: وقد ورد في ست وأربعين آية، ومثاله قول الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)^(٣).

أعظم المؤثرات في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم:

وبذا يتبين لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشد المتأثرين بالقرآن، قد استجاب لدعوة ربه تبارك وتعالى في إجراء الحوارات وعقد المناظرات والجدال بالحسنى، مستجيباً لأمر الله، ومتأديباً بآداب الكتا العزيز وما فيه من الهدى والحكمة.

ثانياً: المباحث الأساسية للكتاب:

«لآلئ الحوار من سيرة المختار صلى الله عليه وسلم»

«الحوار ملاذاً؟»

إن أقوى خصلتين وأثبت خُلُتين لكل إنسان هما العقائد والمبادئ، ولا يطيب

عيش، ولا تصلح دنيا بغيرهما، فهما رباط كل مصلحة شريفة، ومنشأ كل

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) سورة الأنفال: ٢٨.

(٣) سورة الأنعام: ٩١.

خُلِقَ قَوِيمٌ، وما نفع إنسان يكفر بالله الواحد، ويجحد خالقه الموجد الرازق!
وما نفع إنسان لا يحترم ديناً، ولا يقرُّ خُلُقاً، ولا يتخلَّقُ
بفضيلة! كيف يعيش هذان، وكيف يحيى الاثنان؟!!

ولذلك فالعقائد الصحيحة، والمبادئ النبيلة هما رباط العيش الهانئ والحياة
السعيدة، وهما مناط كل استقامة، وشمس كل فضيلة، ومأرز كل خير.

أما العقائد الصحيحة فهي أصل كل دعوة والغاية العظمى لكل نبي وناصح:
(يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (١)
جاءت على لسان الأنبياء كافة والمرسلين عامة عليهم الصلاة والسلام، وكانت
الخطبة الافتتاحية لدعوتهم، والكلمة الأساس لإصلاحهم.

وأما المبادئ النبيلة فهي النتيجة الصحيحة لاستقامة العقائد ورسوخ الإيمان؛
إذ لا إيمان لمن أمانة له، ولا دين لمن لا خلق له، والدين والخلق صنوان لا يفترقان،
ولصيقان لا ينفصلان، فمتى كان للمرء دينٌ كان له خُلُقٌ، ودليل ذلك ما
رواه أنس رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في
الخطبة: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له) (٢).

والناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فصفاء معدن المرء الشفاف، ولمعان
ابتسامته الطيبة، وبريق أخلاقه الناصعة دليل الخير الذي فيه، والدين الذي معه،
وفي هذا المعنى يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم
خُلُقاً. وخيركم خيركم لنسائهم) (٣).

ولا سبيل إلى ترسيخ العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة إلا بالحوار.
(لأن السلوك البشئى الصادر عن قناعات راسخة في النفس، هو سلوك دائم
ومستمر، ولا سبيل إلى غرس القناعات، وترسيخ المثل، والقيم والمبادئ،

(١) سورة الأعراف: ٥٩.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب الإيمان. باب فرض الإيمان برقم: ١٩٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الجنائز. باب ما جاء في حق المرأة عن أبي هريرة رضي الله عنه، برقم ١١٣٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

سوى بالحوار الرفيق الهادئ المتزن، الذي يراعي طبائع النفوس البشرية والجيالات الإنسانية، وتفاوت الفهم والإدراك بين الناس، وتقلب حالتهم النفسية والمزاجية.

والإنسان بطبعه لا يستطيع العيش بمعزل عن التواصل مع الناس، وحال التواصل يجري اتفاقاً، ويكون اختلاف وتباين: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (١).

هذا وإن أشرف أصول الحوار وأعالها، الاستماع العميق الصادق، الذي يعطي الآخر قرصته الكاملة، في إبداء رأيه، وإظهار مكنون قلبه، في جوٍّ من الأمن والهدوء، وإن كان هذا المكنون غريباً أو شاذاً، فإن الإفصاح الكامل، سبيل إلى معرفة مواطن الخلل بجلاء كامل، ومن ثم يأتي الحوار على أصول المشكلات وأسس الانحرافات، ليكون في الحوار بياناً كافياً، وعلاجاً شافياً، يحصل به اقتناع، وتستقر بفضل الرؤية الصحيحة الجليّة، مكان غرائب النوازع، والشاذ من الرؤى والأفكار.

فيكون نتاج ذلك قناعات صحيحة راسخة في النفس البشرية، ولن يترجم ذلك إلا إلى سلوك صحيح وناضج.

والحوار منطق العقلا، وديدن الحكماء، وهو أرفع مآثر الأدميين في التواصل، وأرقى مناهج التثقيف والتعليم.

والحوار كالنقش، يتجذر في النفوس، وله أثر دائم على السلوك، يفضي بالإنسان إلى أن يكون مستمعاً جيداً، قابلاً للتنوع، الذي هو طبيعة البشر، ويجعل من الإنسان إنساناً ينظر إلى الصورة الكاملة، حين يرى الأمر من جميع الزوايا، مستعينا بنظر إخوانه وأقرانه.

ومن من الناس لا يحتاج إلى رأي سواه! وقد كان أعظم الناس، وأكملهم عقلاً ورأياً يسمع من محبيه، ويستجيب لرأي ضعيفهم وصغيرهم، قبل قويهم وكبيرهم، إذ أبصر فيه منفعة، أو رأى فيه خيراً (٢).

(١) سورة هود: ١١٨.

(٢) انظر كتاب: أسرار القيادة والتأثير للمؤلف أ. سليمان بن عوض قيمان صفحة ١٠١-١٠٢.

«الحوار في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم»:

في القرآن الكريم خاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم أمراً وموجهاً له بأهمية الحوار بوصفه سبيلاً من أقوى السبل وأنجعها في تحقيق النصح، وبناء الدعوة، وقرن هذا التوجيه بوصية مهمة تعدُّ ركيزة أساسية لأي حوار: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ^(١) فكان صلى الله عليه وسلم خيرَ من لَبَّى هذا النداء، وأتقن هذه الوصية، فلا يصح حوار، ولا يقبل نقاش ما لم يُغَلَّف بحريير الأدب، ويُلفَّ بسُنْدُس الحكمة.

«ثمانية ألوان للحوار النبوي»:

لقد تلوَّن حوار النبي محمد صلى الله عليه وسلم فشمَل كلَّ لون من تصرفاته وغمر كلَّ إنسان يتعامل معه، فإذا نظرت وطالعت رأيت أنه صلى الله عليه وسلم حاور الأصدقاء والخصوم، وحاوَرَ المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وسمع منهم، وأجاب عن تساؤلاتهم، وحاوَرَ أعداءه، وعقد العهود مع بعضهم، وحاوَرَ حتى القتلة الذين سعوا إلى قتله وسفك دمه الطاهر، أما عن حوارهِ مع أهل بيته وأصحابه من أشياخ الصحابة وكهولهم وفعتي الشباب والأطفال منهم فلا تسلُّ، فلقد أتى «نبي الحوار» صلى الله عليه وسلم بشيء عجيب في هذا الباب، ليس له في سيرة نبي ولا عبقرى مثيلٌ، وقد قسَّمتُ نماذج الحوار في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثمانية مباحث كما سيأتي بيانه بعد صفحات يسيرة.

ولأهمية هذه النماذج الحوارية: فقد اعتنيتُ بها عناية خاصة، ومنحتها القدر الأكبر من الاهتمام؛ وذلك لكونها موضوعَ البحث ولَبَّه، وقد قسَّمتُ كلَّ مبحث من هذا الفصل إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تمهيد و«أرضية مشتركة للحوار» :

وأقصد به توافر ثلاثة أمور أو بعضها :

- ١ . أن يكون لكل طرف من المتحاورين شخصيته الاعتبارية، وكيانه المحدد الذي يقرُّ به الطرف الآخر، ويكنُّ له الاحترام، ويعرف له الفضل أو بعضه .
- ٢ . أن يكون لكل من المتحاورين رؤية يعتقد صحتها، ويؤمن بأحقيتها، ويملك الحجج والبراهين للدفاع عنها .
- ٣ . أن يكون لكل من المتحاورين هدف يسعى إلى تحقيقه، وغاية يطلبها من خلال التفاوض مع الطرف الآخر .

المطلب الثاني : نماذج من الحوار :

بدأته بنموذج تعرضت له بالتحليل والتفصيل، ثم أتبعته بنماذج تأكيدية؛ وهي مجموعة من الأمثلة المتتابعة التي تظهر حصول هذا التناظر وإجراء ذلكم الحوار، في مواطن مختلفة وأزمان متفاوتة وحول مجموعة من القضايا، بحيث لا تكون كلمةً عابرةً أو موقفاً فرداً جرى تحت ظروف معينة، إذ لا يمكن عدُّ الموقف الفرد، مسلكاً في التخاطب ونموذجاً في التفاوض بين طرفين، وختمت كل مبحث بدرّة من درر الحوار حسب الفئة؛ وقد سميتها «لؤلؤة حوار» وفيها أبلغ مثال، وأصدق مقال يدلُّ على تخلُّق النبي صلى الله عليه وسلم بالحوار .

المطلب الثالث : خلاصة البحث، وأقصد به :

الخلاصة التي يخرج بها القارئ لمجموعة النماذج الحوارية للنبي صلى الله عليه وسلم مع كل فئة من الفئات الثماني، وما هي الأسس والخطط التي اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم مع كل فئة للخروج بأفضل نتيجة، ولتكون هذه الخطط سبيلاً وأسوة حسنة لكل إنسان يريد الدخول في عملية حوارية، وتختلط بفؤاده رؤى وأهداف يبتغي تحقيقها من خلال عملية الحوار وإلى أي

مدى حقِّ النبي صلى الله عليه وسلم هدفه، وبلغ مراده من خلال التحوار والتخاطب والتفاعل الإيجابي مع الآخرين .

وقد قسمت النماذج الحوارية بحسب موضوعاتها إلى ثمانية مباحث :

المبحث الأول : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين .

المبحث الثاني : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

المبحث الثالث : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأمم المتحضرة والشعوب الحرّة .

المبحث الرابع : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع القتلّة والمتربصين .

المبحث الخامس : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأصحاب .

المبحث السادس : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب والمراهقين .

المبحث السابع : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته وأهل بيته .

المبحث الثامن : المبحث الثامن: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الملائكة الكرام .

الفصل الثاني

الحوار مع سيرة المختار
الحوار لماذا؟

المبحث الأول

حوار النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم مع المشركين

المطلب الأول

تمهيد، وأرضية مشتركة للحوار

تمهيد :

إنَّ النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ليس رجال غريباً على أهل مكة فهم أهله وعشيرته الذين نشأ بينهم وطالع حياتهم، وهم أيضاً خبروه طفلاً يتيماً، ثم لحظوه شاباً يافعاً، ودققوا النظر إليه كهلاً وقوراً، ولما علموا صدقه وخبروا أمانته أطلقوا عليه صفة حسنة ولقباً سامياً .

جاء الأمين :

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة بناء الكعبة قال : (لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد دخل من الباب، قالوا: قد جاء الأمين)^(١) .

الأمين: لم يأت زوراً:

أهل مكة .. هم قوم النبي صلى الله عليه وسلم وقرايته، ولقد أتوا من الجور والسوء ما لا يصبر عليه عامة الناس، وقد كان الرجال من أصحاب النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم يأتونه وهو متوسدٌ بردة له في ظل الكعبة وعليهم آثار الضّر وكآبة العذاب، وقد أودوا، فيقولون: «ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا»! فيقول لهم: (كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشقُّ باثنين وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط . باب الألف برقم: ٢٤٩٦ .

الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»^(١).

ثلاث عشرة سنة حوار:

إنك تتساءل لقد أمضى النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة لم يقاتل، ولم يناجز، ولم يحمل رمحاً، ولم يسل سيفاً فماذا كان يصنع كل هذه المدة؟!

لقد كان صلى الله عليه وسلم يحاور أهل مكة ومن جاورها، لمدة ثلاث عشرة سنة كاملة، في كل يوم منها، وفي كل ليلة فيها، لا يكلُّ ولا يتردد، ولا يمتنع من الاستماع لهم والانصات لقولهم، والردّ عليهم، والصبر على أذاهم استهزاء به بألسنتهم، وسخرية منه بأفواههم، وإيقاعاً للأذى به بأيديهم وقوة سلطانهم.

انطلاقة الدعوة المحمدية كانت حواراً صريحاً:

فمنذ أن أعلن النبي صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا دعوته أطلق مشروع حوار طويل ومناقشة مفتوحة، فهو وحتى قبل أن يدعوهم إلى القبول بدينه والرضا بمنهجه، أجرى معهم حواراً جعله مقدمة لدعوته، وطريقاً لتأكيد الحق الذي معه، وجعل جوابهم جزءاً من خطابه الدعوي، وردّهم دليلاً على الحق الذي معه.

خيل تخرج من سفح الجبل:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفاء فهتف: (يا صباحاه)، فقالوا: من هذا، فاجتمعوا إليه، فقال: (أرأيتم

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب. باب علامات النبوة في الإسلام برقم: ٣٤٤٢ عن خباب بن الأرت رضي الله عنه.

إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيّ).
قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: (فإني نذيرٌ لكم بين يديّ عذابٍ شديدٌ).
قال أبو لهب: تَبًّا لك، ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام. فنزلت: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ
وَتَبَّتْ، وَقَد تَّبَّ. هكذا قرأها الأعمش يومئذٍ)^(١).

مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ:

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وسلم
خرج إلى البطحاء، فصعد إلى الجبل فنادى: (يا صباحاه)، فاجتمعت إليه
قريش، فقال: (أرايتم إن حدثتكم أن العدو مصبِّحكم أو ممسِّيكم، أكنتم
تصدقونني). قالوا: نعم، قال: (فإني نذيرٌ لكم بين يديّ عذابٍ شديدٌ).
فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تَبًّا لك، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ
وَتَبَّتْ)^(٢).

سِحْرُ الْحَوَارِ:

لقد انخرط المشركون من حيث لم يشعروا في عملية الحوار، وانساقوا
نحوها غير منتبهين، وخاضوا فيها منجذبين بسحرها وجمال رونقها، ولئن
كانوا سفَّهوا النبي صلى الله عليه وسلم، ومنعوه من نشر الحق الذي معه، وعذبوا
أصحابه، وقتلوا بعضهم، وآذوه في نفسه وولده وماله، ورفضوا الاستماع إليه
والتحاور معه، فإنهم شعروا أو لم يشعروا أنهم عاجزون عن وقف حركة الدعوة،
وفشلوا في مقاومة هالة النور التي يُشعُّها الحق الذي يحمله صاحبه صلى الله
عليه وسلم.

لقد كانوا في الظاهر يسخرون من دعوته، ويهزؤون من القرآن الذي يقرأه،

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب تفسير القرآن في تفسير سورة تبت يد أبي لهب وتب برقم: ٤٧٠٢.
(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب التفسير. باب قوله تعالى (وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب) برقم: ٤٧٠٣.

ويضحكون من عقيدته، ولكنهم في الحقيقة عمدوا إلى حوار غير مباشر وسجال مبطن بالسخرية، فردوا عليه مقالاته، وشككوا في صحة معتقداته، وأجابوا بحسب علمهم عن تساؤلاته، في حوار طويل ممتد في الزمن بامتداد عمر النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، لكن حوارهم معه، لم يكن حوار المتقابلين ونقاش المتجالسين، بل كان حوار فكرتين متضادتين، وعقيدتين متباينتين، ورؤيتين للكون والحياة متصادمتين، فكر الإسلام، عقيدة التوحيد المتصلة بالسماء قلباً، والضاربة في الأرض فكراً متيناً يجيب عن كل التساؤلات بموضوعية، ويسوق الأدلة العقلية والكونية على صدق معتقداته وصحة أفكاره.

ومن الجهة الأخرى الفكر الجاهلي الساذج، الذي يميل نحو متابعة القديم الموروث دون أعمال النظر فيه، ودون التفكير في معانيه ومبانيه، حُجَّتهم في ذلك اعتقاد آبائهم له، ومكوئهم عليه: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ. وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) (١).

وتبكيتهم للجديد المُحدث كما ظنوه حين زعموا: (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) (٢) وهو في الحقيقة أصل ثابت ومعتقد راسخ، وقول قديم في الأرض قدم الإنسان نفسه: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) (٣) «إنها عقيدة التوحيد الحق، العقيدة التي خفت بريقها، وخبا نورها، وغاب اسمها، واندرس رسمها، في خضم بحر الأصنام المتلاطم، ولم يكن لألشقياء عبدة الأصنام من الله من عاصم.

(١) سورة الزخرف: ٢٢-٢٣.

(٢) سورة ص: ٧.

(٣) سورة الحج: ٧٨.

إن هذا لشيء عجاب :

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: (مرض أبو طالب، فأتته قريش وأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعودوه وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعده فيه، فشكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، قال: ما شأن قومك يشكونك يا بن أخي؟ قال: يا عم، إنما أردتهم على كلمة واحدة تدين لا بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية) فقال: وما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقاموا فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟

قال: ونزلت: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) إلى قوله تعالى: (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (١)، (٢).

نصروا الدين من حيث أرادوا هزيمته :

لقد أيقن أساطينُ الشرك في مكة أن النبي «محمداً» صلى الله عليه وسلم جاء بالحق، وعلموا أنه أصدق الخلق، ولقد صدَّهم عن الإذعان للحق والسير في ركابه الكبيرِ والتمسُّك بالجاه، وفساد الرأي فاختراروا الوقوف في الجهة المقابلة للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته، وعلى الرغم من أنهم في الظاهر سفَّهُوا رأيه، وسخروا منه ومن دعوته إلا أن الشواهد تثبت أن مشركي مكة يُعدُّون من أكثر مَنْ أدار الحوار مع المختار صلى الله عليه وسلم، وفي الحقيقة فإنَّ مشركي مكة قدَّموا من غير قصد، وأظهروا من حيث لم يشعروا الصورة الحضارية والنماذج الحوارية التي يزدان بها الدين الإسلامي والوحي القرآني والنبي «محمد» صلى الله عليه وسلم.

(١) سورة ص: ١-٥.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ. باب ذكر الأخبار عن أداء العم. جم الجزية إلى العرب، برقم: ٦٨٠٢.

أرضية مشتركة للحوار:

لقد كانت قريش تكنُّ الاحترام الكامل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم منذ عرفته تاجراً أميناً وشاباً عفيفاً يأنف من كلِّ ما يُلغ فيه أقرانه من السوء والمُدّامة، واستماع الغناء، وعبادة الأصنام، وقطع الأرحام، ولم يكونوا يسمونه إلا الأمين.

ومن مظاهر تعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلم وإقرارهم بفضله وشرفه سأورد مظهرين اثنين:

الأول: تحكيمه في قضية خطيرة ومسألة غاية في الشرف والرفعة وهي مسألة بناء الكعبة حين اختلفوا وكادوا يقتتلون، فقد روى أهل السير أن عبد الله بن السائب قال: (اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا: هذا الأمين، وكانوا يسمونه في الجاهلية الأمين، فقالوا: يا محمد قد رضينا بك، فدعا بثوب فبسطه ووضع الحجر فيه، ثم قال لهذا البطن ولهذا البطن - غير أنه سمى بطوناً - ليأخذ كل بطن منكم بناحية من الثوب، ففعلوا ثم رفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده^(١).

والثاني: وضع أموالهم وودائعهم عنده صلى الله عليه وسلم، ومما يدلُّ على ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم خلف عليَّ بن أبي طالب في مكة ليردَّ ودائع القوم، فعن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم: (وأمر - تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - علياً رضي الله عنه أن يتخلف بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس)^(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب الصوم برقم: ١٦٢٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرطه.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الودیعة. باب ما جاء في الترغيب في أداء الأمانات، برقم: ١١٨٩٣.

وكما أنَّ قريشاً كانت تُعظِّمُ النبي صلى الله عليه وسلم وتُجِلُّه قبل الرسالة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على هداية قومه، ومحباً لنجاتهم، وطالباً لمصلحتهم، ومما يُبيِّن هذا الحرص الشديد، أنَّ الله تعالى أشار إلى حرص نبيه صلى الله عليه وسلم هذا في مواضع ثلاثة في القرآن الكريم، ودعاه إلى حفظ نفسه، والرفق بها؛ لأنَّ حرصه الشديد هذا كاد يؤدي به صلى الله عليه وسلم ويذهب بنفسه:

١. قال تعالى: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)^(١).
٢. قال تعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)^(٢).

قال تعالى: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)^(٣).

ومن هنا فإنَّ لنا أن نقرِّر بشجاعة أن أرضية الحوار بني النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين كانت تربة جيدة الأكناف، يمكن أن تؤتي أكلها، وتزهي ثمارها، ولذا فقد جرت الحوارات بين النبي صلى الله عليه وسلم مع عامة أهل مكة وخاصتهم، ووفود الحجَّاج الذين قصدوا البيت على مدى الثلاث عشرة سنة التي قضاهما النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، وقد دخلت قريش في عملية الحوار، وأوغلت فيها بعنف لا برفق، وأساءت الأدب والخطاب، وهكذا يصنع كل صاحب حجة ضعيفة، ورأي متهالك.

(١) سورة فاطر: ٨.

(٢) سورة الكهف: ٦.

(٣) سورة الشعراء: ٢.

المطلب الثاني

نماذج من حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين

فلما سمعها عتبة أنصت لها :

عن محمد بن كعب رضي الله عنه قال : (حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً حليماً - ، قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد : يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه ؛ فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منها بعضها ويكف عنا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد . فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث ، فيما قال له عتبة ، وفيما عرض عليه من المال والملك وغير ذلك ، حتى إذا فرغ عتبة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفرغت يا أبا الوليد » قال : نعم . قال : « فاسمع مني » قال : افعل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم (حم . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)^(١) ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها ، وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد فيها ، ثم قال : « سمعت يا أبا الوليد » . قال : سمعت قال : « فأنت وذاك » . فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض :

نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله سمعتُ قولاً ما سمعتُ بمثله قطُّ، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعتُ نبأ^(١).

تأملات في الموقف السابق

في هذا الموقف إشارات مهمة في شأن الحوار وأدب الخطاب.. فالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم أحسن الاستماع لعتبة، فبعد مقدمته الطويلة التي ينتظر أن تكون الخطبة الأساس قال عتبة: أعرض عليك أموراً فأجاب صلى الله عليه وسلم في صبر وإحسان، فلما أتم خطابه لم يعاجله الجواب، بل سأله ليتأكد من إتمامه لحديثه.

فلما تأكد من إتمامه كلامه، اختار أن يكون ردُّه على العرض الذي تقدم به عتبة، تلاوة آيات من القرآن الكريم، الذي علم أنه أبلغ الكلام وأحلى الكلام، وأمتع الكلال فاسترسل صلى الله عليه وسلم يربطه بصوت إيمانه ترتيلاً تخشع له القلوب وتطمئن إليه النفوس: فاكتفى بالتلاوة ولم يزد عليها

حرفاً، ثم قال لعتبة: (سمعت يا أبا الوليد). قال: نعم، قال: (فأنت وذاك) أي اختر لنفسك: لقد قلت فسمعت منك، وقلت فاستمعت لي، ولك الآن أن تختار، فقد انجلت لك الحقائق، وظهرت لك الأمور.

إنَّ هذا النموذج الراقى في الحوار هو الذي جعل من عتبة مستمعاً جيداً؛

(١) أخرجه البيهقي في دلائل الاعتقاد. باب في إثبات نبوة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم برقم ٢٥٠، ونحوه في دلائل النبوة. باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز، حديث رقم ٥٠٥.

ولذلك لا غرابة أن قال له قومه بعد إذ عاد إليهم، سحرك يا أبا الوليد .

الخصلة الثابتة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :

إنك إن استقرأت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لوجدت أنه كان محاوراً من الطراز الفريد، وكان يملك الأرضية الخصبة لأي حوار مثمر فقد كان مستمعاً جيداً ومصغياً رائعاً يسمع من خواص أصحابه كما يسمع من عامتهم، ويصغي إلى ألد أعدائه كما يصغي إلى أحب أزواجه .

لا تقاطع الطرف المقابل قبل أن يتم حديثه :

وإنك لو قرأت السيرة الشريفة فلن تجد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قاطع متحدثاً قبل أن يتم حديثه ولو كان المتحدث جاهلاً أو عدواً أو خصماً مستهزئاً^(١) .

عرض غريب :

ومن الغرائب التي جاءت بها قريش دعوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم لأشنع طريق وأردى صنيع حين دعوه إلى التردد بين الشرك والتوحيد والكفر والإيمان فقالوا: نعبد إلهك عاماً وتعبد آلهتنا عاماً .

لكم دينكم ولي دين :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (أن قريشاً دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجونه ما أراد من النساء، ويطأون عقبه فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد وكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بشر، فإن بغضت فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، ولك فيها صلاح .

(١) أنظر كتاب أسرار القيادة والتأثير، سليمان بن عوض قيمان ص ١٠٣-١٠٥ .

قال: وما هي؟ قالوا: تعبد إلهنا سنة اللات والعزى ونعبد إلهك سنة، قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فجاء الوحي من عند الله عز وجل من اللوح المحفوظ: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) السورة، وأنزل الله: (قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) (بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)^(١).

حوار مع طيب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن ضماداً قدم مكة، كان من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال فلقيه، فقال: يا محمد، إنني أرقى من هذه الريح وإن الله يشفي على يدي من يشاء، فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله: أما بعد».

قال فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات. قال فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلمات هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر^(٢).

قال فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال فبايعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وعلى قومك»، قال: وعلى قومي، قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردوها. فإن هؤلاء قوم ضماد^(٣).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير برقم: ٧٥٢.

(٢) أي وسطه ولجته انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٨٠/٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة. باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم: ١٤٩١.

انزل أبا وهب :

عن ابن شهاب أنه بلغه: (أَنَّ نَسَاءَ كَنَّ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَلِّمْنَ بِأَرْضِهِنَّ وَهِنَّ غَيْرُ مَهَاجِرَاتٍ وَأَزْوَاجِهِنَّ حِينَ أَسْلَمْنَ كَفَارٍ مِنْهُنَّ بِنْتُ الْوَلِيدِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ وَكَانَتْ تَحْتَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةٍ فَأَسْلَمَتْ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَهَرَبَ زَوْجُهَا صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةٍ مِنَ الْإِسْلَامِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ عَمِّهِ وَهَبَ بْنَ عَمِيرِ بَرْدَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَانًا لَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةٍ، وَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَضِيَ أَمْرًا قَبْلَهُ وَإِلَّا سَيَّرَهُ شَهْرَيْنِ، فَلَمَّا قَدِمَ صَفْوَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرْدَاءُ نَادَاهُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذَا وَهَبَ بْنَ عَمِيرٍ جَاءَنِي بِرَادَتِكَ وَزَعَمَ أَنَّكَ دَعَوْتَنِي إِلَى الْقُدُومِ عَلَيْكَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبْلَتَهُ وَإِلَّا سَيَّرْتَنِي شَهْرَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انزل أبا وهب، فقال: لا والله حتى تبين لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لك أن تسير أربعة أشهر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هوازن بحنين فأرسل إلى صفوان بن أمية يستعيره أداة وسلاحاً عنده، فقال صفوان: طوعاً أم كرهاً؟ فقال: بل طوعاً، فأعاره الأداة والسلاح التي عنده ثم خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كافر، فشهد حينئذٍ والطائف وهو كافر وامرأته مسلمة ولم يفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين امرأته حتى أسلم صفوان، واستقرت عنده امرأته بذلك النكاح^(١).

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب النكاح. باب نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله برقم: ١١٤١، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد ١٧/١٢ عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وقال: لا أعلمه يتصل من وجه صحيح وشهرة هذا الحديث أقوى من إسناده.

البطشة الكبرى:

عن مسروق قال: كُنَّا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا، قَالَ: اللَّهُمَّ سَبِّحْ كَسَبِّحِ يَوْسُفَ، فَأَخَذْتَهُمْ سَنَةَ حَصَّتْ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ وَالْجَيْفَ، وَيَنْظُرُ أَحَدُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى الدُّخَانَ مِنَ الْجُوعِ، فَأَتَاهُ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِصَلَةِ الرَّحْمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) - إلى قوله - (عَائِدُونَ). (يَوْمَ نَبِطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى)، فالبطشة يوم بدر، وقد مضت الدخان، والبطشة والالزام وآية الروم)^(١).

حرب فحواراً فإسلام:

في قصة فتح مكة نقل الراوي في شأن إسلام أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه، حواراً بلغ الغاية في الرفعة والنهاية في الحسن، وفيه يقول العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

(فلما أصبحت غدوتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله، قال: بأبي أنت وأمي فما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما والله لقد كاد يقع في نفسي أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً بعد، وقال: ويلك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تشهد أنني رسول الله! قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما والله هذه فإنَّ في النفس منها حتى الآن شيئاً.

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الجمعة. باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «اجعلها عليهم»، برقم: ٩٧٦.

قال العباس رضي الله عنه قلت: ويكل أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق وأسلم.

قال العباس رضي الله عنه فقلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه؛ فهو آمن^(١).

عتقاء الله عزَّ وجلَّ:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (خرج عبدان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يوم الحديبية قبل الصلح فكتب إليه مواليهم فقالوا يا محمد والله ما خرجوا إليك رغبة في دينك وإنما خرجوا هرباً من الرقِّ فقال ناس: صدقوا يا رسول الله ردهم إليهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا، وأبى أن يردهم وقال: هم عتقاء الله عزَّ وجلَّ^(٢).

حَصَبُ جَهَنَّمَ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (آية في كتاب الله لا يسألني الناس عنها ولا أدري أعرفوها فلا يسألوني عنها أم جهلوهها فلا يسألوني عنها؟ قيل: وما هي؟ قال: آية لما نزلت: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون شق ذلك على أهل مكة وقالوا: شتم محمد آلهتنا فقام ابن الزبيري فقال: ما شأنكم؟ قالوا: شتم محمد آلهتنا قال: وما قال؟ قالوا: قال: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال: ادعوه لي،

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية في كتاب السير والمغازي. باب غزوة الفتح برقم: ٤٤٢٧. وقال: هذا حديث صحيح، ورواه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢/٢٢٠ وقال: حديث صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد. باب في عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون برقيم: ٢٣٦٥

فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبيري: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله؟ قال: (بل لكل من عبد من دون الله عز وجل) قال: فقال: خصماه ورب هذه البنية، يا محمد ألتستزعم أن عيسى عبد صالح، وعزيراً عبد صالح، والملائكة عباد صالحون، قال: «بلى»، قال: فهذه النصرارى يعبدون عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيراً، وهذه بنو مليح تعبد الملائكة، قال: فضج أهل مكة فنزلت: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) ^(١) ونزلت: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ) ^(٢) وهو (الضحيج) ^(٣).

فَلْيَتَكَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ:

عن مالك بن نضلة الجشمي رضي الله عنه قال: (رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليّ أظمار فقال: هل لك مال؟ قلت: نعم. قال: من أي المال؟، قال قلت: قد آتاني الله عز وجل من الشاء والإبل قال: فترى نعمة الله وكرامته عليك، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هل تنتج إبلك وافية آذانها؟ قال: وهل تنتج إلا كذلك - ولم يكن أسلم يومئذ - قال: فلعلك تأخذ موساك فتقطع أذن بعضها تقول: هذه بحيرٌ وتشقُّ أذن أخرى فتقول: هذه صُرْمٌ؟، قال: نعم، قال: فلا تفعل؛ فإن كل مال آتاك الله حلٌّ، وإن موسى الله أحدٌ، وساعد الله أشدُّ قال: فقال: يا محمد أرايت إن مررت برجل فلم يُقرني ولم يضيفني، ثم مررت بي بعد ذلك أقره أم أجزيه قال: بل أقره) ^(٤).

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم: ١٠١.

(٢) سورة الزخرف، الآية رقم: ٥٧.

(٣) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار برقم: ٨١٩، ج ٢/ص ٤٧١، وأخرج نحوه ابن حجر العسقلاني في موافقة الخبر الخبر ١٧٣/٢ وقال: حديث حسن.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الضحايا - باب ما حرّم المشركون على أنفسهم برقم: ١٨٣٦٢. وقال الوادعي في الصحيح المسند ١١٠٧:

حديث صحيح.

صُلح الحوارات :

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين) . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها ، بركت به راحلته ، فقال الناس : حلَّ حلَّ ، فألحت ، فقالوا خلأت القصواء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل) . ثم قال : (والذي نفسي بيده ، لا يسألونني خُطَّةً يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها) . ثم زجرها فوثبت به ، قال : فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء ، يتبرضه الناس تبرضاً ، فلم يلبث بالناس حتى نزحوه ، فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه .

الحوار الأول : الناصح بديل بن ورقاء :

فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة ، وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ، ومعهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكننا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم

الحرب، وأضرت بهم، فإن شأؤوا ماددتهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر: فإن شأؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره). فقال بديل: سأبلغهم ما تقول قال: فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

الحوار الثاني: هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك:

فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، أستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أو لست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا، قال: أستم تعلمون أنني استنفرت أهل عكاظ، فلما ألحوا عليّ جئتم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد، اقبلوها ودعوني آتية، قالوا: آتته، فأتاه، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرى من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى، فإنني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أوشاباً من الناس خليفاً أن يفرؤا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص ببطر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه

وسلم، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى حية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف، وقال له: آخر يدك عن حية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر، ألسنت أسعى في غدرك، وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء).

عروة يقيم الموقف:

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها.

الحوار الثالث: رجل بني كنانة:

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتية، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: قال رسول الله: (هذا فلان، وهو من قوم

يعظمون البدن، فابعثوها له). فبعثت له، واستقبله الناس يلبنون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء، أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت.

الحوار الرابع: رجل فاجر:

فقام رجل منهم، يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتية، فقالوا: آتته، فلما أشرف عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (هذا مكرز، وهو رجل فاجر). فجعل يكلم صلى الله عليه وسلم.

الحوار الخامس: سهّل لكم من أمركم:

فبينما هو يكلمه - أي مكرز - إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب، عن عكرمة: أنه لما جاء سهيل بن عمرو: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد سهّل لكم من أمركم). قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم). قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اكتب باسمك اللهم). ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله). فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب: محمد بن عبد الله. قال الزهري: وذلك لقوله: (لا يسألونني خطة يعظمون بها حرمت الله

إلا أعطيتهم إياها). فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به). فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً!

الحوار السادس: أبو جندل يرسف في قيوده:

فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن لم نقض الكتاب بعد). قال فو الله إذا لم أصالحك على شيء أبداً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فأجزه لي). قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: (بلى فافعل). قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: ل قد أجزناه لك، قال أو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله.

الحوار السابع: الفاروق يريد الحرب:

قال: فقال عمر بن الخطاب: فأنتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: (بلى). قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: (بلى). قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: (إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري). قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: (بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام). قال: قلت: لا، قال: (فإنك آتية

ومطوف به). قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً، قال بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بقرنيه، فوالله إنه على الحق؟ قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به، قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

الحوار الثامن: مشورة أم سلمة:

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل غماً، ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ) - حتى بلغ - بَعْضِ الْكُوفِرِ. فطلق عمر يومئذ امرأتين، كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية.

الحوار التاسع: مسعر حرب:

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجاءه أبو بصير: رجل من

قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر، وقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، قضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: (لقد رأى هذا ذعراً). فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قُتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير: فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، وقد رددتني إليهم، ثم نجاني الله منهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ويلٌ أمه، مسعراً حرب، لو كان له أحد). فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير: فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير: حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بغير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم: لما أرسل: فمن آتاه فهو آمن، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فأنزل الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) حتى بلغ - (الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ). وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله، ولم يقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت^(١).

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الشروط. باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط برقم: ٢٦٠٣.

لؤلؤة حوراء من لآلئ الحوار^(١):

مشرك في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال (وزاد مسلم «سيد أهل اليمامة») فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نجل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغضَ إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغضَ إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتیکم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم)^(٢).

(١) حوراء: شديدة البياض انظر الصحاح في اللغة ١/١٥٧

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب المغازي. باب وفد بني حنيفة برقم: ٤١٣١.

فائدة:

في مسألة دخول الكافر المسجد :

جاء في فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ما نصه^(١) :

أما المسجد الحرام، فلا يجوز دخوله لجميع الكفرة: اليهود والنصارى وعباد الأوثان فجميع الكفرة لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام؟ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ)^(٢) فمنع سبحانه من دخولهم المسجد الحرام.

والمشركون يدخل فيهم اليهود والنصارى عند الإطلاق، فلا يجوز دخول أي مشرك المسجد الحرام لا يهودي، ولا نصراني، ولا غيرهما، بل هذا خاص بالمسلمين.

وأما بقية المساجد، فلا بأس من دخولهم للحاجة والمصلحة، ومن ذلك المدينة وإن كانت المدينة لها خصوصية، لكنها في هذه المسألة كغيرها من المساجد؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ربط فيها الكافر في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وأقر وفد ثقيف حين دخلوا المسجد قبل أن يسلموا، وهكذا وفد النصارى دخلوا مسجده عليه الصلاة والسلام، فدل ذلك على أنه يجوز دخول المسجد النبوي للمشرك. وهكذا بقية المساجد من باب أولى إذا كان حاجة، إما لسؤال، وإما لحاجة أخرى، وإما لسماع درس ليستفيد، وإما ليسلم ويعلم إسلامه، وإما ما أشبه ذلك.

والحاصل أنه يجوز دخوله إذا كان هناك مصلحة، أما إذا لم تكن هناك مصلحة، فلا حاجة إلى دخوله المسجد، أو أن يخشى من دخوله العبث في أثاث المسجد، أو النجاسة فيمنع.

(١) انظر فتاوى نور على الدرب المجلد الأول - الولاء والبراء - مسألة دخول غير المسلمين المساجد.

(٢) سورة التوبة: ٢٨.

المطلب الثالث

الخلاصة

لقد جرت الحوارات بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون على الرغم من قوة سلطان المشركين في مكة، إلا أنّ قوة الحجج، ووضوح الرؤى التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم أجبرتهم في تالية الأمر إلى الاستجابة لدعوته والمشاركة في حركة التغيير في مجتمع مكة، بالصورة التي ارتضوها.

وقد درج النبي صلى الله عليه وسلم معهم مدرج الصبر، وكفّ الأذى وشديد الاحتمال، إلا فيما ندر، وهي طبيعة النفوس البشرية، ومن يصبر على الأذى كمحمد صلى الله عليه وسلم!، إلا أن المواطن اليسيرة التي أوعد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بالويل وهدّدهم فيها بالثبور جاءت بنتائج جيدة، في مجتمع لا يعترف إلا بالقوة، ولا يفهم إلا لغة السطوة، ومن ذلك:

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (ما رأيت قريشاً أرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يوماً رأيتهم وهم جلوس في ظل الكعبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصليّ عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي معيط، فجعل رداءه في عنقه، ثم جذبه حتى وجب لركبتيه صلى الله عليه وسلم، وتصايح الناس فظنوا أنه مقتول، قال: وأقبل أبوبكر رضي الله عنه يشتم حتى أخذ بضبعي -أي عضدي- رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه، وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم انصرفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقام رسول الله صلى

الله عليه وسلم فلما قضى صلاته مرَّ بهم وهم جلوس في ظل الكعبة، فقال: يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده، ما أرسلت إليكم إلا بالذبح، وأشار بيده إلى حلقه، فقال له أبو جهل: يا محمد، ما كنت جهولاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت منهم).

وعلى الرغم من شدة رده صلى الله عليه وسلم على عصاة المعتدين في هذا الموقف، إلا أن الصبر والرويّة كانت ديدنه، ويكفي أن ملك الجبال جاءه وعنده الإذن بإبادة أهل مكة والخسف بهم، إلا أن حلم النبي صلى الله عليه وسلم يسبق غضبه: (إني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً).

المبحث الثاني

حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

اليهود والنصارى أمتان مترابطتان وشريعتهم واحدة: الإنجيل مصدق للتوراة، وعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام مصدق لموسى عليه الصلاة والسلام وامتداد لرسالته:

قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (١).

وبعدها يقول الله تعالى: (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) (٢).

وقد رأيت لكثرة النماذج الحوارية وتنوع موضوعاتها وأبوابها أن أقسم

هذا المبحث إلى مبحثين:

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود.

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع النصارى.

(١) سورة المائدة: ٤٤.

(٢) سورة المائدة: ٤٦.

المبحث الثاني (أ)

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود

تمهيد :

لقد أفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم مساحة كبيرة جداً من التباسط مع اليهود، ورفق بهم أكثر من غيرهم، وأحسن إليهم كما لم يحسن إلى أحد من غير المسلمين، وفي تعدد المواقف الحوارية وكثرتها وتنوع مواضعها ما يدلّ دلالة واضحة على الاهتمام الظاهر الذي أولاه النبي صلى الله عليه وسلم لليهود وما خصّهم به من الجدل بالحسنى والبيان بأحسن وجه، وما لحقهم من قبّله من العفو والمسامحة، وإقرارهم في خير مكثراً وأمنّاً طالما رضي به وقبّله، على الرغم مما أتوه من نقض العهد والغدر والسوء، وصالحهم على أن لهم نصف خراج أرضها من الزروع والحبوب وللمسلمين نصف، ولعل ذلك يرجع إلى جملة أمور منها:

مخالطتهم له في مدينته الطيبة، وعقده الصلح معهم في أول الأمر، ثم نقضهم العهد في خاتمته .

طمع النبي صلى الله عليه وسلم في إسلامهم، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود)^(١) .

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب المناقب . باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم برقم : ٣٤٥٢ .

وعند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: (لو تابعني عشرة من اليهود، لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم)^(١).

أن اليهود كانوا أصحاب كتاب وعندهم من علمه مما بقي في أيديهم منه في ذلك الوقت: وكانوا يحبون أن يختبروا صدق هذا النبي، ويتأكدوا من صحة دعاواه.

أرضية مشتركة للحوار:

لقد توافرت البيعة المناسبة للحوار، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم تقدير خاص لليهود لاعتبارات سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

ومن دلائل تقديره صلى الله عليه وسلم لليهود بوصفهم أمة رسالة وأتباع رسول، توقير النبي محمد صلى الله عليه وسلم أخاه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، ومحبته له، كما في الموقفين الآتيين:

موسى عليه الصلاة والسلام باطش بجانب العرش:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على العالمين، في قسم يقسم به، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم فقال: (لا تخيروني على موسى، فإن الناس يُصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب نُزِّلَ أهل الجنة: برقم: ٥١٢٦.

كان ممن استثنى الله) (١).

نحن أولى بموسى منكم:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما قدم المدينة، وجدهم يصومون يوماً، يعني عاشوراء فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكراً لله، فقال: أنا أولى بموسى منهم: فصامه وأمر الناس بصيامه) (٢).

ومن دلائل حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية اليهود أمره زيداً رضي الله عنه بتعلم لغتهم:

تَعَلَّمِ الْعِبْرِيَّةَ يَا زَيْدُ:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتَعَلَّمْتُ له كتاب اليهود وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي. فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حدقته، فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه) (٣).

ومن صور عنايته صلى الله عليه وسلم الخاصة باليهود، رفق بهم، ومن ذلك ما جرى في المواطن الآتية:

● السام عليك:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: السام عليك، ففطنت عائشة إلى قولهم، فقالت:

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الخصومات. باب ما يذكر في الأشخاص في الخصومة بين المسلم واليهود برقم: ٢٢٠٤.
(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب حديث الأنبياء. باب قول الله تعالى (وهل أتاك حديث موسى) برقم: ٢٢٢٧.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم. باب رواية حديث أهل الكتاب برقم: ٢٢٠٨. وأخرجه نحوه الحاكم في المستدرک في كتاب الإيمان برقم: ٢٢١ وقال: هذا حديث صحيح.

عليكم السام واللعنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله.

فقلت: يا نبي الله، أولم تسمع ما يقولون؟ قال: أولم تسمعي أنني أرد ذلك عليهم، فأقول: وعليكم^(١).

خيبر:

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (أعطى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر اليهود: أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها)^(٢).

أهدته سماً وأهداها عفواً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن امرأة من اليهود أهدت إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة، قال فما عرض لها النبي صلى الله عليه وسلم)^(٣).

فائدة:

ومعنى قوله (فما عرض لها): أي ما تعرّض لليهودية بشيء، فلما مات بشرُّ الذي أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودية قصاصاً^(٤).

احتفاء ثلة من اليهود بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وتوقير كثير

منهم له:

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الدعوات. باب الدعاء على المشركين برقم: ٦٠٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الإجارة. باب إذا استأجر أرضاً برقم: ٢١٨٩.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الديّات. باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه، برقم: ٣٩٦٥.

(٤) وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٢/١٤٧.

وبقدر حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية اليهود وإحسانه إليهم، وأمله في إيمانهم واستجابتهم، وتفضيله إيّاهم درجة على غيرهم من المناوئين دعوته والرافضين للاعتراف بنبوته، كذلك كان اليهود يعلمون أنه رسول الله حقاً وصدقاً، ويستدلون على نبوته من خلال ما في أيديهم من العلامات والمؤشرات الموثوقة في كتبهم، وسوف يستبين لك من خلال المواقف التي سأوردها في الصفحات التالية جليل تقديريهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ورغبتهم في دعائه لهم، ومحاولتهم قتله اختباراً لصدق نبوته، واحتجاجهم إليه بالقول: (أردنا إن كنت كذاباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك)، ومن مظاهر هذا التوقير والإقرار غير المكتمل بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

تعهد العطاس في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (كانت اليهود تعاطس عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لها: يرحمكم الله فكان يقول: يهديكم الله ويصلح بالكم)^(١).

حرص بعض الآباء على نجات أولادهم باتباع النبي صلى الله عليه وسلم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أنّ غلاماً من اليهود كان مرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعود فقعده عند رأسه فقال له: أسلم: فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار)^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب - باب كيف يشمت الذمّي برقم: ٤٤٣٨.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجنائز - باب في عيادة الذمّي برقم: ٢٧٢٤.

المطلب الثاني

نماذج من حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود

صدقت وإنك لنبي :

عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كنت قائماً عند رسول الله فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ! فدفعته دفعة كاد يصرع منها . فقال : لِمَ تَدْفَعُنِي ؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله ! فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سَمَّاهُ به أهله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن اسمي محمد الذي سمانني به أهلي » فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أينفعك شيء إن حدثتك ؟ » قال : أسمع بأذني . فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه . فقال : « سل » فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هم في الظلمة دون الجسر » قال : فَمَنْ أولُ الناس إجازة ؟ قال : « فقراء المهاجرين » قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد النون » قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : « ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها » قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « من عين فيها تسمى سلسبيلاً » قال : صدقت . قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان . قال : « ينفعك إن حدثتك ؟ » قال : أسمع بأذني . قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر . فإذا

اجتمعوا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله. وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آثا بإذن الله» قال اليهودي: لقد صدقت. وإنك لنبي. ثم انصرف فذهب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه. وما لي علم بشيء منه. حتى أتاني الله به». وفي رواية: كنت قاعداً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: زائدة كبد النون. وقال: أذكر وآث. ولم يقل: أذكرا وآثا^(١).

خزنة جهنم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأله فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم. قال: وبم غلبوا؟ قال: سألتهم يهود: هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جهنم؟ قال: فما قالوا؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا، قال: أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا، لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا: أرنا الله جهرة، عليّ بأعداء الله، إني سألتهم عن تربة الجنة وهي الدرّمك، فلما جاؤوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدد خزنة جهنم؟ قال: هكذا وهكذا في مرة عشرة ومرة تسعة، قالوا: نعم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ما تربة الجنة؟ قال: فسكتوا هنيهة، ثم قالوا: خبزة يا أبا القاسم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الخبز من الدرّمك^(٢). والدرّمك: هو الدقيق الحواري^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحيض. باب بيان صفة مني الرجل عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيحه برقم: ٥٠٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الذبائح. أبواب تفسير القرآن. باب ومن سورة المدثر برقم: ٢٣٦٨.

(٣) انظر تحفة الأحمدي شرح صحيح الترمذي ٣١٤/٨.

نشهد أنك نبي:

عن صفوان بن عَسَّال رضي الله عنه: (أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله. فقال: لا تقل نبي، فإنه إن يسمعها تقول له: نبي كانت له أربع أعين فأتيا النبي فسألاه عن قول الله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ)؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تنزوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرفوا، ولا تسحرُوا، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف - شك شعبة - وعليكم يا معشر اليهود خاصة ألا تعتدوا في السبت فقبلاً يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي. قال: فما يمنعكما أن تسلما؟ قالوا: إن داود دعا الله أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود)^١.

عندما يغضب الحليم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة فقال الله عز وجل: (قُلْ أَتُنْكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ) وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، إلى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق في

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الذبائح - باب: ومن سورة بني إسرائيل برقم: ٢١٨٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم أسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة، ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)، قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً، فنزلت: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ . فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) (١).

ويسألونك عن الروح:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة، وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه: لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت فقلت: إنه يوحى إليه، فقلت: فلما انجلى عنه. فقال: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (٢). قال الأعمش: (هكذا في قراءتنا) (٣).

ما حرم إسرائيل على نفسه:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (حضرت عصابة من اليهود رسول الله فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمهن إلا نبي فكان فيما سألوه: أيُّ الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة؟

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین . باب ذکر آدم علیه السلام برقم: ٣٩٤٥ . وقال: هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه .

(٢) سورة الإسراء: ٨٥ .

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح كتاب العلم . باب قوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) برقم: ١٢٤ .

قال: فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً فطال سقمه، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه؛ ليحرمنَّ أحبَّ الشراب إليه، وأحبَّ الطعام إليه، فكان أحبَّ الطعام إليه لحمان الإبل، وأحبَّ الشراب إليه ألبانها؟ فقالوا: اللهم نعم^(١).

عرق أهل الجنة:

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: (أتى النبي رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم أأنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويقول لأصحابه: إن أقر لي بهذا خصمته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مئة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع، فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضم^(٢)).

دعاهم فأبوا فأجلاهم بإحسان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فناداهم: يا معشر يهود، أسلموا تسلموا، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: ذلك أريد. ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: اعلموا أن

(١) أخرجه أحمد في مسنده في مسند بني هاشم - مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنهما برقم: ٢٢٧٨.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور في باب ما جاء في طعام أهل الجنة برقم: ٣٠٥ وقال الألباني في تعليقه على الترغيب والترهيب للمنذري: ٢٧٣٩.

الأرض لله ورسوله، وإنني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله^(١).

حوار في السوق :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً. قالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله عز وجل في ذلك: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلْبُونَ) قرأ مُصْرَفٌ إلى قوله (فِعَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ببدر، وأُخْرَى كَافِرَةٌ^(٢).

أخبرنا عن الرعد :

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : (أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد، ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب، حيث شاء الله فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجرة بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر. قالوا: صدقت. فقالوا: فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه. قال: اشتكى عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها، فلذلك حرمها، قالوا: صدقت^(٣).

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الإكراه. باب في بيع المكره ونحوه برقم: ٦٥٧٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة برقم: ٢٣٤٩.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الذبائح في أبواب التفسير. باب ومن سورة الرعد برقم: ٢١٦٠. وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

يريدون فتنة النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (قال كعب بن أسد وابن صلوبا، وعبد الله بن سوريا، وشأس بن قيس، بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه! فأتوه، فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم، وسادتهم، وإننا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك! فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل فيهم: (وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) إلى قوله: (لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (١).

تنام عيناه ولا ينام قلبه:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (أقبلت يهود إلى النبي فقالوا: يا أبا القاسم نسألك عن أشياء إن أحببنا فيها اتبعناك وصدقناك وآمنا بك. قال: فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على نفسه قالوا: (الله على ما نقول وكييل)، قالوا: أخبرنا عن علامة النبي، قال: تنام عيناه ولا ينام قلبه، قالوا: فأخبرنا كيف تؤنث المرأة؟ وكيف تذكر؟ قال: يلتقي الماءان؛ فإن علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، قالوا: صدقت. فأخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب بيديه أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب، والصوت الذي يسمع منه زجره السحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره) (٢).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، باب ما جاء في دخول عبد الله بن سلام رضي الله عنه برقم: ٧٨٥، وقال أحمد شاكر في تعليقه على عمدة التفسير ٦٩٥/١: صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: ٩٢٢٢١، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ١٩١/٤: صحيح.

رجل مارد منكر :

عن العرياض بن سارية السلمى رضي الله عنه قال : (نزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ومعه من معه من أصحابه وكان صاحب خيبر رجلاً مardاً منكراً فأقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا، فغضب يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد : ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن، وأن اجتمعوا للصلاة، قال : فاجتمعوا ثم صلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قام فقال : أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن، ألا وإني والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر، وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نساءهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم)^(١).

قومٌ بهت :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (سمع عبد الله بن سالم بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يحترف، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : فما أول شرط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال : أخبرني جبريل آنفاً. قال : جبريل؟ قال : نعم. قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية : (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ)، أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب،

(١) أخرجه أبوداود في سننه في كتاب الخراج والإمارة والفيء . باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات برقم : ٢٦٩٤ .

وأما أول طعام أهل الجنة، فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهتٌ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أي رجل عبد الله فيكم. قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام. فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه: قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله (١).

إنها في علم الله قليل :

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد أرأيت قولك: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) إيانا تريد، أم قومك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا، قالوا: أأنت تتلو فيما جاءك؟ إنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم، فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك: (وَلَوْ أَمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) : أي: التوراة في هذا من علم الله قليل (٢).

لؤلؤة حواراء من لآلئ الحوار:

عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: (انطلق النبي صلى الله

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة. باب (من كان عدواً لجبريل) برقم: ٢٢٢٨.
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره في تفسير سورة لقمان. القول في تأويل قوله تعالى: (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام) برقم: ٥٧٩٨.

عليه وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم، وكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر اليهود! أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه. قال: فأمسكوا وما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم، فلم يجبه أحد، ثم ثلث، فلم يجبه أحد، فقال: أبيتتم؟! فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا المقفي، آمنتم أو كذبتم. ثم انصرف وأنا معه، حتى دنا أن يخرج؟ فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد! قال: فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟! قالوا: ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك، ولا من أبيك من قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت! ثم ردوا عليه وقالوا له شراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبتم، لن يقبل قولكم، أما أنفأ، فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن كذبتموه، وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم: قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا، وعبدالله بن سلام، فأنزل الله فيه: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ). الآية (١).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة. باب ذكر عبد الله بن سلام رضي الله عنه برقم: ٧٢٧٧. وقال الألباني في صحيح الموارد (١٧٦٤).

المبحث الثاني (ب) : حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع النصرارى

تمهيد :

لقد كان النصرارى جزءاً من النسيج الاجتماعى لجزيرة العرب، يسكنون جنوب الجزيرة العربية قريباً من اليمن، منطقة نجران، ولقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يمتهن الرفق ويحترف اللين مع كل أحد، وإذا رأى من قوم بعض خير زاد من إحسانه، وحباهم من رفقه ولطفه مزيداً.

● أرضية مشتركة للحوار :

ومن صور تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب بمزيد رفق وزيادة إحسان ما صنعه مع نصرارى نجران من غاية الإكرام مع غاية اللطف، وهالك صورتين اثنتين من صور هذا الإكرام :

● لا تهدم بيعة لا يخرج قس :

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : (صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل نجران على ألفي حلة النصف في صفر والبقية في رجب يؤدونها إلى المسلمين وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم إن كان باليمن كيد أو غدرة: على أن لا يهدم لهم بيعة، ولا يخرج لهم قس، ولا يفتنوا عن دينهم، ما لم يحدثوا حدثاً أو يأكلوا الربا)^(١).

● صلاتهم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم :

وقد نقل ابن القيم رحمه الله^(٢) : (عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أنزل وفد نصرارى نجران في مسجده وحانت صلاتهم فصلوا فيه)^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الخراج والإمارة والفيء . باب في أخذ الجزية برقم: ٢٦٨٦.

(٢) انظر أحكام أهل الذمة ١/٧٩٣ بسند صحيح.

(٣) وأخرج القصة بطولها، الطبري في جامع البيان في تفسير سورة آل عمران رقم: ٥٩٧١.

ومن صور تعظيم النصارى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم:

● امتناعهم عن المباهلة التي دعاهم إليها:

قال ابن كثير رحمه الله: « كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعتوهم وعنادهم إلى المباهلة، قال تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)^(١). »

فلما رأوا ذلك قال بعضهم لبعض: والله لأن باهلتهم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف، فعند ذلك جنحوا للسلم وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فضربها عليهم وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أميناً^(٢).

● نعطيك ما سألتنا:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (جاء العاقب والسيد، صاحبا نجران، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لعن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قال: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين. فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح. فلما قام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا أمين هذه الأمة)^(٣).

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) أنظر تفسير ابن كثير ١/٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي. باب قصة أهل نجران برقم: ٤١٣٧.

المطلب الثاني

نماذج من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع النصارى

فهل تعلم من إله سوى الله؟

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلما دفعت إليه أخذ بيدي، وقد كان قال قبل ذلك: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي، قال: فقام فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها، وجلست بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما يفرك أن تقول لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله سوى الله!، قال قلت: لا، قال: ثم تكلم ساعة، ثم قال: إنما تفرُّ أن تقول: الله أكبر وتعلم أن شيئاً أكبر من الله، قال قلت: لا، قال: فإنَّ اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال، قال قلت: فإني جئت مسلماً، قال: فرأيت وجهه تبسط فرحاً قال: ثم أمر بي فأنزلت عند رجل من الأنصار جعلت أغشاه آتية طرفي النهار قال: فبينما أنا عنده عشية إذ جاءه قوم في ثياب من الصوف من هذه النمار قال: فصلى وقام فحثَّ عليهم ثم قال: ولو صاع ولو بنصف صاع ولو بقبضة ولو ببعض قبضة يقبي أحدكم وجهه حر جهنم أو النار ولو بتمرة ولو بشق تمرة فإن أحدكم لاقى الله وقائل له: ما أقول لكم ألم أجعل لك سمعاً وبصراً فيقول: بلى، فيقول: ألم أجعل لك مالاً وولداً، فيقول: بلى، فيقول: أين ما قدمت لنفسك فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله، ثم لا يجد شيئاً يقبي به وجهه، فإني لا أخاف عليكم الفاقة فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة فيما بين يثرب والحيرة أكثر ما تخاف على مطيتها السرقة قال: فجعلت أقول في فأين لصوص طييء) (١).

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الذبائح أبواب تفسير القرآن. باب ومن سورة فاتحة الكتاب برقم: ٢٩٩٤، وقال: حديث حسن غريب، وقال الألباني في تعليقه على السنن: حديث حسن.

ما بذلك بعثني :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قال أبو رافع القرظي ، حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران ، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعون؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن تعبد غير الله ، أو أن تأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني . أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك من قولهما : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ) إلى قوله : (بَعْدَ إِذِ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)^(١) .

صليب من ذهب :

عن عدي بن حاتم له قال : (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب ، قال : فسمعتة يقول : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) . قال : قلت : يا رسول الله ، إنهم لم يكونوا يعبدونهم . قال : أجل ، ولكن يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ، ويحرمون عليهم ما أحلَّ الله فيحرمونه ، فتلك عبادتهم لهم)^(٢) .

يا أخت هارون :

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنهما قال : لما قدمت نجران سألتوني . فقالوا : إنكم تقرأون : يا أخت هارون . وموسى قبل عيسى بكذا وكذا . فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك . فقال : إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)^(٣) .

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن في تفسير سورة آل عمران . باب القول في تأويل قوله تعالى (وما كان لبشر أن يؤتيه الله) برقم : ٦٦٥١ ، وأشار أحمد شاكر في مقدمة عمدة التفسير ١/ ٢٨٥ إلى صحته .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب آداب القاضي . باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي فإنه غير جائز برقم : ٤٥٩٨١ ، ورواه ابن تيمية في حقيقته الإسلام والإيمان ١١١ وقال : حديث حسن ، وأورد الألباني نحوه في غاية المرام وقال : حديث حسن .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأدب . باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء برقم : ٤٠٩٤ .

لؤلؤة حوراء من لآلئ الحوار:

فاضت أعينهم من الدمع:

عن أبي إسحاق رضي الله عنه قال: (ثمَّ قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلاً وهو بمكة أو قريب من ذلك من النصارى، حين ظهر خبره من الحبشة، فوجدوه في المجلس، فكلموه وساءلوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّا أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عزَّ وجلَّ وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم تأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم! ما نعلم ركباً أحمق منكم. أو كما قالوا لهم: فقالوا لهم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألوا أنفسنا خيراً، فيقال إنَّ نفر النصارى من أهل نجران والله أعلم أي ذلك كان) (١).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة. باب الهجرة الأولى إلى الحبشة برقم: ٥٩٤.

المطلب الثالث

الخلاصة

لقد كان النصرارى في جزيرة العرب قلة قليلة، هم نصرارى نجران، وقد وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم، ودخلوا عليه مسجده، وحانت صلاتهم فصلوا فيه، ودعاهم إلى الإسلام فأبوا، وأصرروا على ضلالهم وعاندوا وقد استبان لهم الحق، وانجلى لهم الموقف عن صورة النبي الذي يجدونه عندهم في التوراة والإنجيل، ولذلك فإنه لما دعاهم إلى المباهلة أبوا وهابوا أن تصيبهم لعنة الله، وتشاور بعضهم في شأن الملاعنة فقالوا: إذن والله لا نفلح، فرضوا بالجزية وقبلوا التسليم، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم رجلاً أميناً فاستبان إذ ذاك شرف أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، وكان الأصحاب قد استشفروا لهذه المنقبة العظيمة، فخصَّ بها النبي صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة وعينه، وظهرت بعد من بعض نصرارى نجران ميالة نحو إخلاف العهد ونقض الميثاق فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم واعظاً يذكرهم تقوى الله وخطورة نبذ العهد وتمزيق الميثاق، فقرؤوا وطفعت فتنتهم، وفي المحصلة فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تخليص جزيرة العرب من الأديان خلا الإسلام، وأوضح ضرورة حماية قلعة الإسلام ومأرز الدين من الأمتين (اليهود والنصارى) ولعمر الله لقد استبان لنا اليوم حكمة ذلكم الجلاء وضرورة تلکم الوصية، فأرض الإسلام كلها يتشارك فيها المسلمون وغيرهم من أهل الكتاب البلاد، ويتعايشون في سلم ودعة إلا من فتن يثيرها جاهل هنا أو جاهل هناك، ولكن هضبة الدين وقلعته ومنبت دعوته ومهبط وحيه لها خصوصية، فالحمد لله الذي أقام الإسلام، وحفظ الدين، وسلّم وأعان.

المبحث الثالث

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع زعماء العالم

المطلب الأول

تمهيد وأرضية مشتركة للحوار

تمهيد :

يمكن للمرء أن يسمي هذا العصر بعصر تقارب الثقافات وتعايشها وتجاوزها، وما سبق أن توقعه البروفيسور (مارشال ماكلوهان) قبل نحو أربعين عاماً تحقق إلى حد كبير، إذ إنَّ الدفع التقني مضى قدماً إلى الأمام بأسرع مما كان يدور في خلد ذلك المنظر الإعلامي الرائد. من كان يتصور قبل عقود قليلة أن شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) يمكن أن تربط العالم بهذا الشكل؛ سواء بنقل المعلومات فورياً، أو بالسماح بالحوار عبر المعمورة بحرية كاملة وتكاليف قليلة هي رمزية في معظم الأحيان؟! هذا فضلاً عما حدث من تقدم في وسائل الاتصال الأخرى، وتيسر السفر والانتقال والتبادل التجاري وغير ذلك من الوسائل التي توفر فرصاً لا تحصى للقاء بين الشعوب والتعرف إلى مختلف الثقافات والحضارات»^(١).

وسائل الاتصال والتحاوور في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

قلتُ: ولئن كانت الحال كذلك اليوم فإنَّ وسائل الاتصال التي درج عليها الناس في عهد النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم كانت تأخذ صوراً مختلفة، وكانت وسائل يسيرة، فقد كانت عادة الملوك والرؤساء وسادة الناس التكتاب والتجارب أخذاً ورداً، وكانوا يتخذون لذلك الرسل ويصطفون من أجل تلك المهمة النبلاء والعقلاء من الرجال، واتخذوا الخواتم، وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً وفيه (محمد رسول الله) وجعل في أعلاه الله، ثم في

(١) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وأدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني ص ١٠.

وسطه رسول، ثم في أدناه محمد؛ لأدبه مع الله تبارك وتعالى، ليدرّج مدرّج الناس، ويواكب حركة الأمم، ولئن كان الكتاب يأخذ من الوقت أطول، ومن المشقة أشدها، ومن الرحلة أتعبها، فإنه كان ضرورة الوقت وطبيعة الزمان، ومن المفارقات العجيبة أن كثيراً من الدول اليوم (حتى المتحضرة منها) ونحن نعيش زمن التقنية وثورة الاتصالات لا زالت تعد هذه الوسيلة لنقل الرسائل وسيلة مهمة في طرائق التواصل بين الملوك والرؤساء، فتبعث الرسائل الخطية بيد وزير أو سفير لتصل إلى يد المقصود بها موسومة مختومة؛ إذ فيها حفظ الأسرار من الوقوع بين يدي من لا يُرغب في إطلاعه عليها، إضافة إلى ما لهذه الوسيلة من الحراسة من أعين المعادين والمتربصين.

المكاتبات سبيل من سبل الحوار:

أمّا الحوار في صورة الاجتماع والتقابل والمخاطبة، فقد كان نادراً؛ إذ يتعسر جمع المتفرقين، وضم المتباعدين في مكان واحد، فكانوا في الغالب يستغنون بالرسول والكتاب عن الاجتماع واللقاء، ولهم في احترام الرسل مذاهب وأعراف اصطلاحوا عليها ودرجوا على الأخذ بها.

العرب على هامش الحضارة:

أمّا العرب فلم يكونوا قوماً ذوي بال، فقد كانوا يعيشون على هامش التاريخ، وخارج حدود التأثير في سياسة الأرض، وهم أتباع، مرة لفارس ومرة للروم، بحسب تقاربهم المكاني واحتكاكهم التجاري مع إحدى القوتين العظيمةتين.

أرضية مشتركة للحوار:

وبالمناسبة فإنّ للنبي «محمد» صلى الله عليه وسلم ولشريعته الإسلامية موقفاً ظاهراً يفرّق فيه بين المخالفين من أصحاب الديانات الأخرى، فلاهل الكتاب، (اليهود والنصارى) في القرآن تمييز واضح عن بقية الملل؛ لأنهم أصحاب

كتاب وأتباع رسول، وأمة رسالة، ولذلك فإن الإسلام منع المسلم من نكاح الشركه، وحرّم عليه الأكل من ذبائح المشركين، والأكل في آنيتهم، واستثنى (اليهود والنصارى).

يقول الله تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) (١).

أقربهم مودة:

إن للمسلمين ميلاً شعورياً ظاهراً في مواطن خاصة، نحو «أمة الروم» وتفضيلاً لها على ما سواها من أمم الشرك، ليس في مجال التشريعات التي جاء بها الإسلام كإباحة الزواج بنسائهم، والأكل من طعامهم وذبائحهم فحسب، بل حتى في مجال المشاعر والأحاسيس، ويدلّ على ذلك الهمم والحزن الذي أصاب النبي «محمدًا» صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حين نزل قول الله تعالى: (أَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) (٢)، واستبشاره صلى الله عليه وسلم وأصحابه بخاتمة الآية وما بعدها من الآيات: (فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (٣).

القوى العظمية:

وقد أدرك النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم الوقائع الحاصلة على الأرض وقوة تأثير الدولتين المجاورتين لدولته الناشئة في جزيرة العرب، فكان أن فتح (مع هاتين الدولتين ومع سواهما من القوى الإقليمية واللاعبيين المؤثرين في مسيرة الحضارة الإنسانية) حواراً بصبغة جديدة لم تعهدها الملوك والدول والرؤساء في ذلك الوقت، فلربما كاتب الملوك بعضهم بعضاً يطلبون صلحاً، أو يحتجون

(١) سورة المائدة: ٥.

(٢) سورة الروم: ١-٣.

(٣) سورة الروم: ٣-٤.

على عدوان أو يُهدّدون بحرب، أو يطلبون القُرب، لكنّ هذا اللون من «الحوار الحضاري» الذي أنشأه النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم لم يكن معروفاً من قبل لأي إنسان، فقد سلك التخاطب لأجل البلاغ ونشر الدعوة الحقّة من خلال المكاتبات، التي حملت أسلوباً جديداً في التواصل بين الشعوب والأمم.

المطلب الثاني

نماذج من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع زعماء العالم

مفاجأة:

إن هرقل (Hercules) بطل من أبطال الأمة المسيحية، وقائد لا يُشَقُّ له عندهم غبار، وهو مع كونه قائداً فذاً كان أحد العاملين بالكتاب المقدس، ولعلها عادة المسيحيين في شأن اختيارهم ملوكهم» أو بسبب تقرب القادة في ذلك الوقت من العاملين بالكتاب المقدس من الأحرار والقسيسين، وهو ظاهر في مشاورة هرقل للأساقفة في كل شأن ذي بال، فقد كان سلطان الكنيسة على الدولة في ذلك الوقت قوياً وعميقاً، بحيث كان أقوى المؤثرات في حركة المجتمع عندهم، وما خلع الحاكم وتثبيتته إلا نتاج لغضب الكنيسة ورضاها عنه، ولما كان هرقل قائداً مُعظماً وعالماً بالكتاب المقدس، وهو ودولته في الطرف المقابل نداءً لدولة الفرس، فقد

كان العالم منذ القدم يتنازعه قطبان، وتؤثر في مسيرته قوتان عظيمتان (فارس والروم)، ولما كان التحاور في صورته التي نراها اليوم في صورة مؤتمرات مطولة واجتماعات متتابعة عزيزاً في ذلك الوقت لما نعلم من وعورة الطريق، وتباعد المسافات، فقد اختار النبي محمد صلى الله عليه وسلم التكاتب سبيلاً للحوار.

ملامح الرسائل وخطوطها العربية:

كانت الرسالة تكتب بعناية فائقة واختصار شديد، وكان أقوى مآثرها أنها تتيح للطرف الآخر الفرصة، وتعطيه الحق في أن يقبل فحوى هذه المكاتبة أو يرفضها، وتلزمه ببيان موقفه، والرد على المرسل، كشكل من أشكال المؤتمرات الحضارية التي يتحاور فيها الناس اليوم، بأسلوب يناسب الزمان، ويواكب

الوقائع؛ إذ يتعسر جمع المتباعدين ورصّ المختلفين تحت سقف واحد كما يجري في وقتنا الحاضر؛ وذلك لبعث الشُّقة، وطول المسافة ومخاطر الطريق. ولذا فقد كتب الكتب وبعث الرسل، وحرص بصدق على إنجاح ذلك الحوار الحضاري الجديد بكل الوسائل الممكنة، مع ملاحظة دقائق الأمور، ولذلك اختار الرُّسل لتلك المهمة بعناية فائقة، وبعد نظر ظاهر.

مواصفات البُرد^(١):

وعلى الرغم من أن عامة الرسل الذين بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والرؤساء كانوا يتميزون بالذكاء والحكمة وحسن الصورة، إلا أنه لم يكن منهم رجل أحسن صورة من دحية الكلبي رضي الله عنه؛ إذ كان يشبّه بجبريل عليه السلام، وكان جبريل يأتي النبي «محمدا» صلى الله عليه وسلم في صورة دحية رضي الله عنه، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث رجلاً، فلما قام: قال: يا أم سلمة من هذا؟ قلت: دحية الكلبي. فلم أعلم أنه جبريل عليه السلام حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه ما كان بيننا)^(٢). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كان جبرائيل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي)^(٣).

فائدة من هدي النبي صلى الله عليه وسلم:

ويؤخذ من تمثل جبريل عليه السلام بصورة دحية للنبي صلى الله عليه وسلم مشروعية مراعاة حسن الوجه في البريد والرسول، ويؤيده ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن يحيى بن أبي كثير: (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(١) البُرد: أي من يحمل الرسائل وينقل الكتب واحداً بريد.

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده في مسند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم برقم: ٦٧٦٠، وأخرجه بألفاظ مقاربة الطبراني في المعجم الكبير في باب الباء برقم: ١٨٦٩٤.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، طبقات البدرين برقم: ٥١١٤، ورواه ابن حجر العسقلاني في الإصابة: ٤٧٢/١ وإسناده صحيح.

لأمرائه: إذا أبردتم إليّ بريداً فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم^(١).

وفي رواية: (إذا أبردتم إليّ بريداً فابعثوا حسن الوجه حسن الاسم)^(٢).

لماذا دحية؟

إنّ اختيار النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم دحية لبيعته إلى أكثر الأمم تأثيراً في الحضارة الإنسانية في ذلك الوقت «الروم»، ليس ضرباً من الارتجال السياسي ولا الخبط الفكري، بل لذلك دلالاته العميقة والراسخة، إذ إن البشر عموماً تؤثر فيهم الصورة الحسنة، والخلقة الجميلة، والروم من أشدّ الأمم عناية بالصور واهتماماً بالحسن؛ ولذلك فإن بعث النبي صلى الله عليه وسلم دحية الرجل الوضيء المميّز صورةً ومعنى، فيه حرص بين على هداية القوم، وحصول القبول منهم.

مواصفات البريد^(٣):

والظاهر في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم الرسل هو التعيين والتحديد، فكان يختار من أصحابه من يتأمل فيه الحكمة، ويتفرّس فيه الذكاء والشجاعة، لكنه لما أراد أن يبعث إلى هرقل، عرض الأمر على الأصحاب، وبين الجزاء العظيم من الله تعالى لمن يتصدى للمهمة النبيلة والعمل العظيم، إذ إنّ أمة الروم هي أقرب الأمم إلى المسلمين مودة: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الجهاد . باب ما قالوا في الولاة حين يحد البرد فيبرد برقم: ٢٢٢٦٢.

(٢) أخرجه البزار في مسنده برقم ١٩٨٥ بنحوه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ورجاله ثقات، وله شاهد عند البزار أيضاً يتقوى به من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (إذا بعثتم إلي رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم) وسنده حسن في الشواهد.

(٣) البريد: أي الرسول، انظر القاموس المحيط ١/٣٤١.

الشَّاهِدِينَ . وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ . فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (١) .

وذلك لما عندهم من العلم، ولما بقي في أيديهم من أثر النبي « عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في الكتاب الذي بين أيديهم، ولما جرى من بعضهم من اللين حيال دعوة النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم ودخول بعضهم في الإسلام.

رأس المسيحية في الحبشة وعالمه :

وقد جرى من النجاشي رأس المسيحية في الحبشة في زمانه، والعالم بالكتاب المقدس، والحبر المقدم في مملكته، والمعتبر في رسوخه وتضلعه، ما يستغرب لمثله من لا يعرف حقيقة النصارى وتمكن الرأفة في قلوبهم .

نعى النجاشي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : (نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي صاحب الحبشة - أي : أذاع خبر موته - يوم الذي مات فيه فقال : استغفروا لأخيكم) (٢) . وزاد في رواية : (خرج إلى المصلّى فصف بهم وكبر أربعاً) . وزاد في رواية : (خرج إلى المصلّى فصف بهم وكبر أربعاً) (٣) .

تخالف بين أتباع الرُّسل :

ولعل النبي « محمداً » صلى الله عليه وسلم، طمع في إيمان « هرقل » وهو إن حصل سيكون فتحاً عظيماً ومكسباً كبيراً، ينشأ عنه تحالف قوي بين دولة فتية

(١) سورة المائدة: ٨٢-٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز بالمصلّى والمسجد، برقم: ١٢٧٦.

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه برقم: ١٢٠٠.

ناشئة، تحمل آخر مشعل لنور السماء وآخر قبس من وحيها، مع دولة قوية وأمة كبيرة إن آمنت بدعوة النبي الخاتم «محمد» صلى الله عليه وسلم؛ فإنه سيكون لهذا التحالف شأن كبير ونور عظيم، تنطفئ معه نار الشرك وتخبو في ثنايا بريقه آثار لهب المجوسية التي كانت تقودها في ذلك الوقت الأمة الشديدة البأس والدولة الطاغية «فارس».

إعلان المهمة عظيمة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر؟ وله الجنة؟. فقال رجل من القوم: وإن لم يقتل؟ قال: وإن لم يقتل. فانطلق الرجل به، فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس)^(١) والرجل هو دحية الكلبي رضي الله عنه كما توضح عامة الروايات.

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل:

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس، مشى من حمص إلى إيلياء شكراً لما أبلاه الله، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حين قرأه: التمسوا لي ها هنا أحداً من قومه، لأسألهم عن رسول الله.

العرب في مجلس هرقل!:

قال ابن عباس: فأخبرني أبو سفيان: أنه كان بالشأم في رجال من قريش قدموا تجاراً، في المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و كفار قريش، قال

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب السر. باب الخلافة والإمارة برقم: ٤٥٧٥، وقال الألباني في صحيح الموارد صحيح: ١٢٥١.

أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وبأصحابي، حتى قدمنا إيلياء فأدخلنا عليه فإذا هو جالس في مجلس ملكه، وعليه التاج وإذا حوله عظماء الروم.

أسئلة هرقل العشرة:

فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم إليه نسباً، قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ فقلت: هو ابن عمي، وليس في الركب يوماً أحدٌ من بني عبد مناف غيري، فقال قيصر: أدنوه، وأمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذبوه.

قال أبو سفيان: والله لولا الحياء يوماً، من أن يآثر أصحابي عني الكذب: لكذبتة حين سألتني عنه، ولكنني استحيت أن يآثروا الكذب عني صدقته.

ثم قال لترجمانه: قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا، فقال: كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آباءه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: فيزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن الآن منه في مدة نحن نخاف أن يغدر، قال أبو سفيان: ولم يمكنني كلمة أن أدخل فيها شيئاً أنتقصه به لا أخاف أن تؤثر عني غيرها.

قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قلت: نعم، قال: فكيف كانت حربيه وحربكم؟ قلت: كانت دولاً وسجلاً، يدال علينا المرة ونдал عليه الأخرى.

قال فماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وبينها عماً كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.

استنتاجات هرقل وقراءته الحوار السابق:

فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له: إني سألتك عن نسبه فيكم فزعمت أنه ذو نسب: وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله فزعمت أن لا.

فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله قلت رجل يأتى بقول قد قيل قبله.

وسألتك: هل كتتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: هل كان من آباءه من ملك، فزعمت أن لا، فقلت لو توضع من آباءه ملك، قلت يطلب ملك آباءه.

وسألتك: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك: هل يرتد أحد سُخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فزعمت أن لا،

فكذلك الإيمان حين تخلط بشاشته القلوب لا يسخره أحد .

وسألتك : هل يغدر، فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون .

وسألتك : هل قاتلتموه وقاتلكم، فزعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه تكون دولاً، ويدال عليكم المرة وتداولون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبتلئ وتكون لها العاقبة .

وسألتك : بماذا أمركم، فزعمت أنه أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة .

هرقل وأمل في لقاء النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم :

قال : وهذه صفة النبي، قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يك ما قلت حقاً، فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه .

نص رسالة النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم إلى هرقل :

قال أبو سفيان : ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية أسلم تسلم، وأسلم يؤتتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (١) .

لَغَطٌ وَصَخَبٌ فِي مَجْلِسِ هِرْقَلِ :

قال أبو سفيان: فلَمَّا أُنْ قَضِيَ مَقَالَتُهُ عَلَتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ مِنْ حَوْلِهِ مِنْ عِظْمَاءِ الرُّومِ، وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ، فَلَا أُدْرِي مَا قَالُوا، وَأَمْرٌ بِنَا فَأَخْرَجْنَا، فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي وَخَلَوْتُ بِهِمْ، قُلْتُ لَهُمْ: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرٌ ابْنَ أَبِي كَبِشَةَ، هَذَا مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخَافُهُ، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: وَاللَّهِ مَا زَلْتُ ذَلِيلًا مُسْتَيْقِنًا بِأَنْ أَمْرُهُ سَيُظْهِرُ، حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ قَلْبِي الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهِ (١).

هرقل يعترف بالحق :

وزاد البخاري في رواية: (وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل سُقفا على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارفته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناطور: وكان هرقل حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يَهْمُكَ شَأْنُهُمْ، وَارْتَبَ إِلَى مَدَائِنِ مَلِكِكَ فَيَقْتُلُوا مِنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَتَى هِرْقَلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانٍ يَخْبِرُ عَنِ خَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا اسْتَخْبِرَهُ هِرْقَلُ قَالَ: أَذْهَبُوا فَانظُرُوا أَمْخَتَنَ هُوَ أَمْ لَا؟ فَنظَرُوا إِلَيْهِ: فَحَدَّثُوا أَنَّهُ مَخْتَنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَنُونَ، فَقَالَ هِرْقَلُ: هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ، ثُمَّ كَتَبَ هِرْقَلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بَرُومِيَّةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرْقَلُ إِلَى حَمَصَ، فَلَمْ يَرَمْ حَمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرْقَلِ عَلَى خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذَّنَ هِرْقَلُ لِعِظْمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ لَهُ بِحَمَصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعَلَقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ: هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرَّشْدِ، وَأَنْ يَثْبِتَ مَلِكُكُمْ

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الجهاد والسير. باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة برقم: ٢٨٠٦.

فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حُمُرِ الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقَتْ، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: رُدُّوهم عليَّ، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل^(١).

هرقل يبعث رده على دعوة النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم:

وقد روى أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن أني بن مالك في شأن قيصر قال: (وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إني مسلم وبعث إليه بدنانير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية وقسم الدنانير)^(٢).

ونموذج آخر من الحوار عبر التكتاب:

عن محمد بن مسلم رضي الله عنه قال: (قرأت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لعمر بن حزم حين بعثه إلى نجران، وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم، فيه: هذا بيان من الله ورسوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) - فكتب الآيات منها، حتى بلغ: (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) الآية^(٣)).

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في باب بدء الوحي برقم: ٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب السير - باب في الخلافة والإمارة.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان في تفسير سورة المائدة - القول في تأويل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)، برقم: ٩٩٤٤، وأشار أحمد

شاكر في مقدمة عمدة التفسير ١/٦٢٠ إلى صحته.

المطلب الثالث

الخلاصة

لقد كانت تجربة مكاتبة الملوك والرؤساء تجربة غنية، وصنيعاً له أبعاده الضاربة في العمق والممتدة في الأفق، فدعوة النبي صلى الله عليه وسلم هي دعوة عالمية، فهو رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^(١). ومن الأبعاد الجلية لهذه المكاتبات أن يدرك الناس أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصد من دعوته تحقيق مصالح شخصية أو مكاسب مادية، وإلا لكان اكتفى بانبساط سلطانه على الجزيرة العربية وإشراق فجر نبوته على أهلها من العرب، أهله وعشيرته وأحبابه.

ومن أبعادها أيضاً أن يستقرّ في أذهان القادة الذين سيخلفون الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أنّ الواجبات لم تنقطع، وأنه لا يجوز الركون إلى البلد، والإخلاق إلى الأرض، بل لا بد من إتمام مسيرة الدعوة، وتبليغ نور الله إلى العالمين، ومناجزة من يقف سداً بين دعاة الحق وحملة مشعل الهدى، والناس عباد الله وخلق الله من كل ملة وجنس ولون.

ومن أبعادها أيضاً إقامة حجة الله تعالى على الناس كافة، ولعن كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف في يوم عرفة في حجة الوداع خطيباً فاستبرأ ذمته وأبرأه الناس فقال: (ألا هل بلغت؟) وجعل الله تعالى على إجابة الناس شاهداً: (اللهم فاشهد)، فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم أدى واجب البلاغ في الداخل في حدود الجزيرة وفي الخارج في كل اتجاه، فما بقي سلطان يُوصل إليه ولا ملك يُقدر عليه، إلا وبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً وأقام عليه حجة.

المبحث الرابع

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع القتلة وأرباب الاغتيالات

المطلب الأول

تمهيد وأرضية مشتركة للحوار

تمهيد :

درج العرب في الجزيرة العربية على صور من الأنظمة الاجتماعية، اختلف فيها الناس إلى طبقتين لا ثالث لهما: السادة والعبيد، الرؤساء والخدم، واصطلحوا أيضاً على أنظمة سياسية ارتضوها، تتوافق غالباً مع النظام القبلي، فقبيلة تفضل أخرى، ولكل قبيلة رأس وأكتاف وأطراف، يقوم الرأس مقام الجميع، ويتكلم باسمهم، ويحكم فيهم، فلا يخالفون قوله، ولا يندون عن رأيه، وهو عندهم المقدم والسيد والقاضي والمستشار، والفيصل في كل شأن، فلما بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم هفت القلوب إليه، وانضم إلى دعوته بسطاء الناس كلهم، وبعض السادة والوجهاء، وبذا فإن دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن دعوة إلى عبادة الله تعالى همها أن تبطل عبادة الأصنام فحسب، بل لقد أشرقت شمس شخصيته صلى الله عليه وسلم على كواكب الرؤساء وسادة القوم، فطمست ما لمع منها وذهبت بضوء أكثرها.

ولذا فقد قال قائلهم: (تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف حتى إذا كنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي فمتى نبليغ)⁽¹⁾، فلا غرابة بعد أن ينشأ في القوم من يرفض هذا التغيير الشامل في العبادة والسلوك والأنظمة الاجتماعية والعادات المرعية.

وكذلك كانت يهود قد استقرت في المدينة وحولها، وارتضت لنفسها داخل حصونها المغلقة أنظمة سياسية واجتماعية، كان الدين هو المؤثر الأكبر في

(1) أخرجه أصحاب السير... قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث... وذكر بقية القصة.

صياغتها، مع ما للمال من سطوة وسلطان في تقديم رجل وتأخير آخر أحقّ منه وأولى، وقد كان اليهود قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وظهور أمره يترقبون خروجه، ويتأملون أن يكون منهم: فلَمَّا بعث عرفوه بالعلامات التي عندهم: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (١).

ولمّا تيقنوا أن الله تعالى قد اختار للرسالة أمةً سواهم، ساءهم ذلك فغذّى بعضهم الحقد في قلبه، وأضمر السوء في نفسه تجاه النبي صلى الله عليه وسلم، واختاروا عداوته، ودبروا المكائد له.

أرضية مشتركة للحوار:

إنّ الوقائع التي جرت ومحاولات بعض الناس من المشركين واليهود والمنافقين اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم، تدفع إلى الاعتقاد بأنّ لا أرضية تحاور يمكن من خلالها الالتقاء والتناغم للوصول إلى حالة من التفاهم.

إذ كيف يكون لقاء ويجري حوار وقد وصل القاتل إلى نهاية الطريق، وخلف وراءه كل أرض يكون على ظهرها كلام أو تجاوب!

ولكنني سأدعك عزيزي القارئ بعد هذه القراءة الأولية، لتري في خاتمة البحث، إن كان بالإمكان خلق أرض تصلح محلاً لحوار وموطئاً لتخاطب بين قاتل أثيم، ومغدور آمن، له كلُّ الحقِّ في إنزال أشد عقاب، بأسوأ قاتل وشرُّ غادر!!.

المطلب الثاني

نماذج من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع القَتلة وأرباب الاغتيالات

مشرك في محاولة اغتيال النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحَارِبَ خَصْفَةَ بنخلٍ فرأوا من المسلمين غِرَّةً فجاء رجلٌ منهم يقال له غَوْرَثُ بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله. فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال له: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ قال: تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: لا، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله، فجاء إلى أصحابه فقال: جئتمكم من عند خير الناس^(١).

صور من زوايا القصة السابقة:

وأنت تلاحظ هنا أن النبي (محمدًا) صلى الله عليه وسلم تمكن من رقية عدوه الذي حاول قتله منذ ثوانٍ مضت، ولو كان عنده تعطش للدماء - وحاشاه صلى الله عليه وسلم - لأراق دمه على الفور، فالسيف في يده صلى الله عليه وسلم. والدافع إلى القتل قوي وحاضر، فقد تسربل الرجل بالغدر، وتسلب على حين غِرَّة من المسلمين، حتى وصل إلى محلّة قائدهم صلى الله عليه وسلم، وشرع في قتله، وتبجح قبل ضربه بالسيف بما يعتقد من عقيدة الأسباب، وغفل عن القوة الحقيقية التي تقف وراء إدارة الكون بكل كواكبه وأقماره وإنسه وأطيّاره ومائه وأشجاره، قوة الله القدير، الذي له الخلق والأمر، والسلطان والقهر، فقال هذا الغافل عن حقيقة الإله المهيمن: (من يمنعك مني؟).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه باب صلاة الخوف برقم: ٢٩٣٩.

وحين دارت الدائرة عليه، وسقط السيف من يده، وانقطعت أسبابه، وليس له قوة وراء الأفق يحتمي بها حين يشتد الخطب، وتنقطع الحيلة، لم يجد بداً - لما رأى من الرحمة التي تجلُّ وجه المغدور صلى الله عليه وسلم - من الشناء على النبي صلى الله عليه وسلم، لما يعرف من كريم شمائله ومحاسن أخلاقه، فقال ولم يكتر وكانما كان على يقين بعلو خصمه أدباً، وسموه نفساً، وإشراقه روحاً، فاكتفى بقوله: (كن خير آخذ).

حوار مع قاتل:

فشرع النبي صلى الله عليه وسلم وقد رأى أنها الفرصة السانحة والوقت الملائم - لا لإحلال المثلثات بالغاير - ولكنها الفرصة السانحة لإجراء حوار معه، لعلَّ الله تعالى يستنقذه به من النار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل: (أتشهد أنني رسول الله)، وهنا لمح القاتل فرجة في غمام العقوبة الذي يلوح في الأفق، ودله ملامح وجه النبي صلى الله عليه وسلم على اقتراب العفو، فصرَّح بما يعتقد، وأظهر ما يضمّر: (لا)، ولأن (لا) كلمة قاطعة تفيد انسداد الطرق وانغلاق السبل، فقد شفعها الرجل بعرض جيد: (ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك).

وهنا تجلَّت نفائس الحكمة التي يحملها قلب النبي صلى الله عليه وسلم، واكتفى بقراءة صحيحة وتوقعات واقعية، بما عرض عليه الرجل، فاكتفى صلى الله عليه وسلم، بسحب رجل واحد من معسكر الخصوم، إلى معسكر المحايدين، ورضي؛ لأنَّ الفرصة عن القاتل تعطيه فسحة من الوقت، وامتداداً في الزمن، فعملَّ الله تعالى يكتب له هداية في قادم الأيام.

سفير العفو:

فكان الرجل بعدُ كما تأمَّل النبي صلى الله عليه وسلم خير سفيرٍ يبشِّر بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم من ورائه، ويبيِّن عن محاسنه، في أرض ريماء لم

يبلغ أهلها من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم سوى أنه ساحر يفرِّق بين المرء وأخيه والابن وأبيه، فجاءهم شاهد من عند أنفسهم على حسن السيرة وجمال الصورة والسريرة، وهو شاهد عدل عندهم، لمثله يسمع الناس، فهو بطل القوم، ومبعوثهم في أخطر مهمة، وقد عاد على قدميه، فلا بدَّ أنه ظفر بمراده أو صدَّه عن بُغيته أمرٌ جَلُّ، فبهتهم الموقف، ونقل إليهم الصورة واختصر: (جئتم من عند خير الناس).

حوار وشاة مسمومة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لَمَّا فَتُحِتْ خَيْبِرُ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَبُوكُمْ؟ قَالُوا: أَبُونَا فَلَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فَلَانَ، فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ، فَقَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ. فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذَبْنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آيِنَا، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخَلَّفُونَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْسَؤُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ. قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا. فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرْكُ)^(١).

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الطب. باب ما يذكر في سُمِّ النبي الله عليه وسلم برفق: ٥٤٦١.

شبية:

عن شبية بن عثمان قال: (لما غزى النبي صلى الله عليه وسلم حنين، تذكرت أبي وعمي، قَتَلَهُمَا عَلِيٌّ وحمزة، فقلت: اليوم أدرك تأري في محمد صلى الله عليه وسلم، فجئته فإذا العباس من يمينه، عليه درع بيضاء، كأنها الفضة فكشف عنها العجاج^(١)، فقلت: عمه لن يخذله، فجئت عن يساره، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث، فقلت: ابن عمه ولن يخذله، فجئته من خلفه، فدنوت وذنوت، حتى إذا لم يبق إلا أن أُسَوَّرَهُ سِوَرَةً بالسيف، رُفِعَ إِلَيَّ شِوَاظٌ من نار كأنه البرق، فخفت أن يمحشني، فنكصت القهقري، فالتفت إلي النبي صلى الله عليه وسلم قال: تعال يا شيب، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدري، فاستخرج الله الشيطان من قلبي. قال شبية: فرفعت إليه بصري وهو أحب إلي من سمعي وبصري، ومن كذا، فقال لي: يا شيب قاتل الكفار^(٢).

لؤلؤة حوراء من لآلئ الحوار:

فضالة:

يقول فضالة بن عمير الليثي رضي الله عنه: قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالكعبة، وكنت أريد قتله فلما اقتربت منه قال لي: «أفضالة؟» قلت: نعم فضالة يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدث نفسك؟» قلت: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال لي: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدري، فوالله ما رفعها حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه^(٣).

(١) أي أزاح منها الغبار انظر تاج العروس باب الجيم (عجج)

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٧٠٢٨، وقال: الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٧/٦ وفيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف وأخرجه بنحوه البيهقي في دلائل النبوة ١٤٥/٥ وقال له شاهد.

(٣) انظر الإصابة لابن رجب مجلد ٨/ حديث رقم / ٦٩٩٨.

المطلب الثالث

الخلاصة

وهكذا يمكننا من خلال المواقف السابقة استنباط آليات الحوار مع القتلة والمجرمين، فالقتلة في المحصلة بشر من لحم ودم، ومهما تعطَّشوا للدم فإنهم يظُلُّون بشراً، ومهما حملوا من الضغائن وعشقوا لأجلها القتل فهم في نهاية المطاف مجموعة إنسان، ومهما توهموا أنه لا يشفي ما في صدورهم من الكراهية إلا القتل، فإن صفوة الخلق وكبار الرجال بمقدورهم أن يقدموا نموذجاً فريداً في التأديب والتهذيب وصناعة النفوس من جديد، وذلك من خلال الاستعلاء فوق العقوبات، والقفز فوق أسوار الكراهية، وتقديم الصورة المشرفة للقاتل نفسه عن كيفية العفو، إنهم باختصار يعطون أعظم دروس الحب في صورة عفو ومسامحة.

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم دقيق الملاحظة دائم الفكر، طويل التأمل، فإنه صلى الله عليه وسلم رأى بثاقب نظره أن لدى عامة القتلة نقصاً حاداً في جانب العواطف، وحالة من الموت السريري في حركة المشاعر، ولذلك بنى منهجه في التعاطي مع القتلة على ركيزتين اثنتين:

الأولى: التقارب البدني والملامسة الجسدية معهم، من خلال مسحه باليد الطيبة المطيِّبة الباردة اللينة، على أجسامهم في الصدر أو الكتف أو الرأس، وهي مناطق التأثير ومراكز الإحساس لدى كل إنسان، ليوقد في نفوسهم جذوة الإنسانية من جديد، ويوقظ في ضمائرهم أحاسيس الإنسان.

الثانية: ولما كان لا بد من رسول ومقدِّمة لحصول هذا التقارب؛ فقد كان رسوله قوياً أسراً: بحيث لا يقدر على مقاومته كل من بقي في أحشائه ذرَّةً من إنسانية، أو مقدار خردلة من طبائع البشر، فكان رسوله العفو والصفح، وقلماً يقدر إنسان على مقاومة الانجراف وراء هذه القوة الآسرة «أي: العفو»، فإن

الناس جُبلوا على حبٍّ من أحسن إليهم، وغاية الإحسان إعتاق رقبة القاتل، والعتفو عن عظيم جرم من يشرع في القتل.

لأن من يشرع في القتل يضع في حسبانته دائماً أنه أحد رجلين، إمّا رجل يظفر بمراده فيقتل خصمه ويشفي صدره، وينجو بنفسه، وإمّا أن يخيب ظنّه فيقع في الأسر وهو لا يتوقع في هذه الحالة أقل من القتل والسَّحل وأليم العذاب، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفجأهم في اللحظات - الأولى التي تغلي فيها الأعصاب، ويستحكم فيها الغضب - بالعتفو، فإنَّ شرورهم تذوب، وأحقادهم تتحلل؛ لأن هذا العفو يمحو منهم الكراهية ليورثهم الحب، ويسحب من قلوبهم الحقد ليورثهم الشوق، ثم تكون مسحة اليد الطيبة التي تحمل أصدق المشاعر وأخلص الحب وأقوى التأثير، تكون هذه المسحة ختام قصة التحول القوي العنيف، من أقصى درجة في الكراهية والبُعد إلى أقرب درجة في الحب والقرب.

إنَّ أحداً مهما كان ومهما أوتي من محامد الخصال لا يقدر على مثل هذه المساحة من تقدير الحياة، واستبقاء الأحياء، ولكِنَّه محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من خطت قدمه الأرض، وأكرم من مشى عليها.

وهكذا صار بمقدورنا أن نستنبط هدي النبي صلى الله عليه وسلم في محو الكراهية وإحلال الحب في قلوب القتلة من خلال الخطوات الآتية:

إجراء حوار وتخطب يسير.

تجاوز فكرة إقرار القاتل بشرّه.

إعلان العفو الصريح عنه.

ملامسته جسدياً وبث المشاعر في ثناياه.

الواقعية والتوسط في التوقعات منه.

المبحث الخامس

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأصحاب

المطلب الأول

تمهيد وأرضية مشتركة للحوار

تمهيد :

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم دياجة الدين، النبي صلى الله عليه وسلم شعاره وهم دثاره، (أبرهذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه) (١).

(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٢).

وشرف الصحبة لا يعدله شيء.

ولقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه ممن أسلم متأخراً وشرف باللقاء وعابن المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) (٣).

قال النووي رحمه الله: (ومعناه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مداً ولا نصف مد) (٤) هذا في حق المتأخرين

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله في باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء برقم: ١١١٦ عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) سورة التوبة: ١٠٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، برقم: ٤٧٣٣.

(٤) انظر شرح النووي على مسلم ٩٣/١٦.

من الأصحاب فكيف بمن عداهم!

وقد أعلن العليم الحكيم لهم القبول وأحلّ عليهم الرضوان، وسطر ذلك في الكتاب العزيز قرآناً يُنلى، وآي يرتل في كل زمن: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)^(١). إنه إعلان التقدير وإشهار السيادة للصحب الكرام في أبهى صورة وأزهى حلة وأحسن كلام.

أرضية مشتركة للحوار:

إن حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقادة العالم وسادة الدنيا، وحتى مع القتلة والمتربصين: حوار مفهوم وله وجه وفي حصوله وجاهة، فهؤلاء قوم لا يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً، لا يقرّون له بنبوة، ولا يعترفون له بوحي، فكان حوارهم صلى الله عليه وسلم معهم حواراً مفهوماً، وصنيعاً حسناً عالياً ومنتظراً، إذ كيف يقنع القوم بصدق نبوته وحقيقة دعوته إذا لم يفتح معهم حواراً، ويجري معهم الكلام، ويتراجع معهم الحديث!

ولكنّ الصحب الكرام كانوا قد تشربوا الإيمان به، وخالطت بشاشة الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم قلوبهم، واستقرّ حبه صلى الله عليه وسلم في جذر أفتدتهم، ولقد كانت طاعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ديناً، ومخالفته مهلكة وظلماً، كما بيّن الكتاب العزيز: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)^(٢). وقوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٣).

(١) سورة الفتح: ١٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.

ولم يكن صلى الله عليه وسلم تخاطبه مع أصحابه الكرام مضطراً إلى بيان أو تراجع كلام، بل كان في إمكانه التقرير وعليهم التنفيذ، وكان له القضاء وعليهم السمع، ويكفيه الإشارة وعليهم الطاعة، ولكن الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، كان ينشد الكمال، ويطلب الغاية في العلو، ويسعى إلى النهاية في الحكمة، ولذلك فإنه صلى الله عليه وسلم اعتمد الحوار مسلماً تربوياً، وأصلاً تعليمياً، وأساساً في التوجيه والإرشاد، والدعوة والجهاد، وهذا أكمل الكمال، وأحسن الخلال، وأعلى المطالب.

ولذلك فإنَّ المنزلة التي بلغها الصحب الكرام رضي الله عنهم في مراقبي الحضارة وسُلم المجد، كانت نتاج ذلك المنهج السامي الذي نهجه نبي الرحمة ورسول الرفق محمد صلى الله عليه وسلم في التخاطب والتربية والإصلاح.

وأنت ستدهش فيما سترى من المواقف في قادم الصفحات، من كثرة محيرة، ورونقٍ بديع، وإشراق صافية، وحضور كامل، وتلَوْن في كلِّ باب من أبواب التربية والإصلاح، إنَّ الحوارات المحمدية مع الثلة المؤمنة هي أكثر من أن تُجمع في سفر، وأعزُّ من أن يحويها كتاب، فسيرته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وسيرُه يزدان بالحوار، ويتضمخ بالجدال بالحسنى، ولكنني اقتطفتُ لك من بستان الفنِّ، واصطفيتُ لك من منجم الذهب شذرات؛ هي غذاء الأرواح، وشفاء القلوب، وبهجة النفوس؛ فيها من المتعة ما ينسى المرء في ثناياه كلَّ تعب، ومن الغنية ما يذوب في دروبه كلُّ حزن.

وليس ذلك لحكمة كاتب أو جهد مؤلف، ولكن هكذا هي سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بهجة أنى اتجهت، وفرح أنى قرأت، إنها إحدى لذائد الدنيا الباقية، فما حيلة الإنسان التَّعبِ والقلبِ المكدود إلا الورود والسقاية أبداً ما بقي، ففيها الشفاء والريِّ والعافية.

وتالله لو فقه المسلمون، وعَظُم حَظُّهم لكانت سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مشعلاً يزهر في أكناف بيوتهم، ثم نوراً يشع على العالمين، وغيثاً يهل على العطشانيين.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه، واجمعني وكلَّ محب معه، وأوردنا حوضه، واسقنا من اليد الشريفة شراب الأبرار، ومنية الأخيـار من نهر الأنهار، أعذب شراب، وأطيب كأس، اللهم آمين. وإلى النماذج الحوارية:

المطلب الثاني

نماذج من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع الأصحاب

الدم الدم والهدم الهدم:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (نمنا تلك الليلة - ليلة العقبة - مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساءنا، نسبية بنت كعب وأسماء بنت عمرو بن عدي. فلما اجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويستوثق له، فلما جلس كان أول متكلم، قال: يا معشر الخزرج، إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزة من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك!! وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه؛ فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده.

قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك وربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قال كعب: فأخذ البراء بن معرور بيده وقال: نعم،

فوالذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله - أبناء الحروب وورثاها كائناً عن كابر، فاعترض هذا القول - والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال - يعني اليهود - حبلاً وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم... وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم النقباء، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس^(١).

الله أرسلك:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء).

فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية. العاقل. فيسأله ونحن نسمع. فجاء رجل من أهل البادية. فقال: يا محمد! أتانا رسولك. فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: «صدق» قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله قال: «فمن خلق الأرض؟ قال: «الله» قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل. قال: «الله» قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك. قال: «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال: «صدق» قال: فبالذي أرسلك. الله

(١) أخرجه أحمد في مسنده في مسند المكيين. حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله تعالى عنه، برقم: ١٥٥١٥، وصححه الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي برقم: ١٤٩.

أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة أموالنا. قال «صدق» قال: فبالذي أرسلك. الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال صدق قال: فبالذي أرسلك. الله أمرك بهذا؟ قال: نعم قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: صدق قال: ثم ولى قال: والذي بعثك بالحق! لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن فقال: النبي صلى الله عليه وسلم لعن صدق ليدخلن الجنة^(١).

يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قال ناس من الأنصار، حين أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما أفاء الله من أموال هوازن، فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم. قال أنس: فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم، ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما حديث بلغني عنكم). فقال فقهاء الأنصار: أما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به). قالوا: (يا رسول الله، قد رضينا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان. باب السؤال عن أركان الإسلام برقم: ٢٨.

(ستجدون أثره شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فإنني على الحوض). قال أنس : (فلم يصبروا)^(١) .
« حوارهِ مع ابن أبي علي فراش الموت » :

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد الله بن أبي في مرضه الذي مات فيه ، فلما دخل عليه عرف فيه الموت قال : قد كنت أنكهك عن حب يهود قال : فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمه ؟ فلما مات أتاه ابنه فقال : يا رسول الله إن عبد الله بن أبي قد مات فأعطني قميصك أكفنه فيه فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فأعطاه إياه)^(٢) .

ملاحظة : وإنما أدرجت حواراً مع ابن أبي مع ثبوت نفاقه واستفاضة كفره ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم عدّه ومن سواه من المنافقين في جملة أصحابه ظاهراً كما في الحديث : (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)^(٣) .

أكسر ثنية الربيع :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن الربيع عمته كسرت ثنية جارية ، فطلبوا إليها العفو فأبوا ، فعرضوا الأرش - أي : دية الجراحات - فأبوا ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوا إلا القصاص ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص ، فقال أنس بن النضر : يا رسول الله ، أتكسر ثنية الربيع ؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أنس ، كتاب الله القصاص ، فرضي القوم فعفوا ، فقال رسول

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب المغازي . باب غزوة الطائف ، برقم : ٤٠٩٢ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجنائز . باب في العيادة ، برقم : ٢٧٢٢ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب الجنائز برقم : ١٢٠٧ .

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح برقم : ٤٦٣٥ .

الله صلى الله عليه وسلم: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره^(١).
إن لم أجدك:

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: (أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته في شيء، فأمرها بأمر، فقالت: أرايت يا رسول الله إن لم أجدك؟ قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر^(٢)).

طلاء السفن:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح، وهو بمكة: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام. فقيل: يا رسول الله، أرايت شحوم الميتة، فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: لا، هو حرام. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها جملوه - أذابوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه^(٣)).

سراق الحجيج:

عن أبي بكر نفيع بن الحارث رضي الله عنه: (أن الأقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إنما بايعك سراق الحجيج، من أسلم وغفار ومزينة - وأحسبه - وجهينة - ابن أبي يعقوب شك - قال النبي صلى الله عليه وسلم: أرايت إن كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه - وجهينة خيراً من بني تميم: وبني عامر، وأسد، وغطفان، خابوا وخسروا). قال: نعم،

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب تفسير القرآن. سورة البقرة باب: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) برقم: ٤٢٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب في الأحكام التي تعرف بالدلائل، برقم: ٦٩٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب البيوع. باب بيع الميتة والأصنام، برقم: ٢١٤٥.

قال: والذي نفسي بيده إنهم لخير منهم^(١).

لا تقتله:

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه: (أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أ رأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذمني بشجرة فقال: أسلمت لله، أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقتله). فقال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلة قبل أن يقول كلمته التي قال^(٢).

متاع وصدقة:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: (أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور. يصلون كما نصلي. ويصومون كما نصوم. ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة. وكل تكبيرة صدقة. وكل تحميدة صدقة. وكل تهليلة صدقة. وأمر بالمعروف صدقة. ونهي عن منكر صدقة. وفي بضع أحدكم صدقة ». قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: « أ رأيت لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجراً^(٣).

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب المناقب. باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة، برقم: ٢٣٥٠.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب المغازي. باب شهود الملائكة بدرأ، برقم: ٣٨٢٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة. باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، برقم: ١٧٤٥.

بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الثمار حتى تزهي. فقليل له: وما تزهي؟. قال: حتى تحمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرأيت إذا منع الله الثمرة، بِمَ يأخذ أحدكم مال أخيه؟) (١).

مكارم الجاهلية:

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال: (يا رسول الله، أرأيت أموراً كنت أتحدث بها في الجاهلية، من صلة، وعتاقة، وصدقة، هل لي فيها من أجر؟ قال حكيم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلمت على ما سلف من خير) (٢).

نهر بالباب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أرأيت لو أن نهراً باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات. هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال فذلك مثل الصلوات الخمس. يمحو الله بهن الخطايا) (٣).

هن فواحش وفيهن عقوبة:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأيتم الزاني والسارق وشارب الخمر ما تقولون فيهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هن فواحش وفيهن عقوبة، أفلا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله، قال الله تعالى: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)، وعقوق

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب البيوع، اب إذا باع الثمار قبل أن يبدو صلاحها: ٢١١١.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من وصل رحمه في الشرك ثم أسلم، برقم: ٥٦٦٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا، برقم: ١١١٥.

الوالدين، ثم قال: قال الله تعالى: (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)، قال: وكان متكئاً فاستوى، وقال: ألا وقول الزور، ألا وقول الزور^(١).

بئسما جزتها:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (كانت ثقيف حلفاء لبني عقييل. فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني عقييل. وأصابوا معه العضباء. فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الوثاق. قال: يا محمد! فأتاه. فقال: (ما شأنك؟) فقال: بم أخذتني؟ وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال: (إعظماً لذلك) (أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف) ثم انصرف عنه فناده. فقال: يا محمد! يا محمد! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رقيقاً. فرجع إليه فقال: (ما شأنك؟) قال: إني مسلم. قال: (لو قلتها وأنت تملك أمرك، أفلحت كل الفلاح) ثم انصرف. فناده. فقال: يا محمد! يا محمد! فأتاه فقال: (ما شأنك؟) قال: إني جائع فأطعمني. وظمآن فاسقني. قال: (هذه حاجتك) ففدي بالرجلين. قال: وأسرت امرأة من الأنصار. وأصيبت العضباء. فكانت المرأة في الوثاق. وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم. فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل. فجعلت إذا دنت من البعير رغاً فتتركه. حتى تنتهي إلى العضباء. فلم ترغ. قال: وناقة منوقة. فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت. ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم. قال: ونذرت لله؛ إن نجاها الله عليها لتنحرنها. فلما قدمت المدينة رآها الناس. فقالوا: العضباء، ناقة

(١) أخرجه بن حجر العسقلاني في المطالب العالية في كتاب الإيمان والتوحيد باب تفسير الكبائر برقم: ٣٠٠٤. وأخرجه ابن حجر أيضاً بنحوه في موافقة الخبر الخبر ٣٥٦/١ وقال: حسن غريب من حديث الحسن عزيز من حديث قتادة، وأخرج نحوه مالك في الموطأ في كتاب قصر الصلاة في السفر. باب العمل في جامع الصلاة برقم: ٤٠٩.

رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : إنها نذرت ؛ إن نجاهها الله عليها لتنحرنها . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له . فقال : (سبحان الله بئسما جزتها . نذرت لله إن نجاهها الله عليها لتنحرها . لا وفاء لنذر معصية . ولا فيما لا يملك العبد) . وفي رواية ابن حجر : (لا نذر في معصية الله) . وفي رواية : وفي حديث حماد قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل . وكانت من سوابق الحاج . وفي حديثه أيضاً : فأتت على ناقة ذلول مجرسة . وفي حديث الثقفى : وهي ناقة مدربة (١) .

فمن أعدى الأول؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا عدوى ، فقام أعرابي فقال : أرأيت الإبل ، تكون في الرمال أمثال الضباء ، فيأتيها البعير الأجرب فتجرب؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فمن أعدى الأول؟) (٢) .

أنت أكبر ولده؟

عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه قال : (جاء رجل من خثعم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ! إن أبي أدرك الإسلام وهو شيخ كبير لا يستطيع ركوب الرحل ، والحج مكتوب عليه ، أفأحج عنه؟ قال : أنت أكبر ولده؟ قال : نعم ، قال : أرأيت إن كان على أبيك دين فقضيته أكان ذلك يجزئ؟ قال : نعم ، قال : فأحجج عنه) (٣) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النذر . باب لا وفاء في النذر في معصية الله ، برقم : ٣١٧٩ .

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الطب . باب لا عدوى ، برقم : ٥٤٥٩ .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الحج . باب المذنون في بدنه لا يثبت على مركب وهو قادر على الحج برقم : ٨١٠٨ ، وأخرجه الدارمي في كتاب المناسك . باب الحج عن الميت ، برقم : ١٨٣٢ .

فإن الله قد غفر لك حدك :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، ونحن قعود معه، إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله! إنني أصبت حداً. فأقمه عليّ. فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم أعاد فقال: يا رسول الله! إنني أصبت حداً. فأقمه عليّ. فسكت عنه. وأقيمت الصلاة. فلما انصرف نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أمامة: فاتبع الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف. واتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ما يرد على الرجل. فلحق الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنني أصبت حداً، فأقمه عليّ. قال أبو أمامة: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرأيت حين خرجت من بيتك، أليس قد توضأت فأحسنست الوضوء؟» قال: بلى، يا رسول الله! قال: «ثم شهدت الصلاة معنا؟» فقال نعم، يا رسول الله! قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإن الله قد غفر لك حدك - أو قال: ذنبك» (١).

اسمعوا إلى ما يقول سيدكم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله قال : (يا رسول الله! أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً أيقنته؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا» قال سعد: بلى، والذي أكرمك بالحق! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا إلى ما يقول سيدكم» (٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات)، برقم: ٥٠٩١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب اللعان، برقم: ٢٨٤١.

يمسك الشر فإنها صدقة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف قال قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر. فإنها صدقة) (١).

الله أعلم بما كانوا عاملين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت لو مات قبل ذلك؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين) (٢).

فأنت شهيد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال «فلا تعطه مالك» قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله» قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد» قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار» (٣).

اسمعوا وأطيعوا:

عن وائل بن الحضرمي والد علقمة رضي الله عنه قال: (سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يا نبي الله! أرأيت إن

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم: ١٧٤٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر. باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار، برقم: ٤٩٣٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق برقم: ٢٣٢.

قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه. ثم سأله فأعرض عنه. ثم سأله في الثانية أو في الثالثة جذبته الأشعث بن قيس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اسمعوا وأطيعوا. فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم) (١).

ماذا تصنع في زمن الفتنة؟

عن أبي بكرة نفيح بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنها ستكون فتن. ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها. والماشي فيها خير من الساعي إليها. ألا، فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله. ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه. ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجا. اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: يبوء بإثمه وإثمك. ويكون من أصحاب النار) (٢).

أستأذن على أمي؟

عن عطاء بن يسار رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله رجل فقال: يا رسول الله، أستأذن على أمي؟ فقال: نعم، قال الرجل: إني معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استأذن عليها، فقال الرجل: إني خادمها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة قال: لا، قال فاستأذن عليها) (٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة. باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، برقم: ٢٥٢٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب نزول الفتن كمواقع القطر، برقم: ٥٢٦٥.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الاستئذان. باب الاستئذان برقم: ١٧٥٠.

دين الله أحق بالقضاء:

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: (إن أُمِّي ماتت وعليها صوم شهر. فقال: «أرأيت لو كان عليها دين، أكنت تقضينه؟» قالت: نعم، قال «فدين الله أحق بالقضاء»^(١).

صابر محتسب مقبل غير مدبر:

عن أبي قتادة رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر)، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر. إلا الدين. فإن جبريل عليه السلام، قال لي ذلك)^(٢).

خيل غرُّ محجلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين. وإننا إن شاء الله، بكم لاحقون. وددت أنا قد رأينا إخواننا» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد». فقالوا: كيف تعرف

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام. باب قضاء الصيام عن الميت برقم: ٢٠١٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة باب من قتل في سبيل الله كُفرت خطاياها غلا الدين، برقم: ٣٦٠٥.

من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال «أرأيت لو أن رجلاً له خيلٌ غرٌّ محجلةٌ^١. بين ظهري خيل دهم بهم. ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى، يا رسول الله! قال «فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء. وأنا فرطهم على الحوض. ألا ليزدان رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضال. أناديهم: ألا هلم! فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك - فأقول: سحراً سحراً». وفي رواية: وفيه «فليزدان رجال عن حوضي»^(١).

هل لك إبل؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام أسود فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمر قال: هل فيها من أورك؟ - الذي في لونه سواد ليس بحالك، بل يميل إلى الغبرة - قال: نعم، قال: فأنتي ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق، قال: فلعل ابنك هذا نزعه)^(٢).

لؤلؤة حوراء من لآلى الحوار:

ابنة حاتم طيئ:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (يا سبحان الله! ما أزهّد كثيراً من الناس في خير! عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاح، فقام إليه رجل فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيئ وقفت جارية حمراء

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة. باب استحباب إطالة الفرة والتجليل في الوضوء برقم: ٣٩٨.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الطلاق. باب إذا عرض بنفي الولد برقم: ٥٠١٤.

لعساء زلفاء عيطاء شماء الأنف، معتدلة القامة والهامة، درماء الكعبين، خدلجة الساقين، لفاء الفخذين، خميصة الخصرين، ضامرة الكشحين، مصقولة المتنين، قال: فلما رأيتها أعجبت بها، وقلت: لأطلبنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلها في فيءي فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عننا، ولا تشمت بي أحياء العرب فإنني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولا يرد طالب حاجة قطُّ أنا ابنة حاتم طيئ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق فقال أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله يحب مكارم الأخلاق فقال رسول الله: والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق^(١).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة في جماع أبواب غزوة تبوك . باب وفد طيء منهم زيد الخيل برقم: ٢٠٨٠، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ٦١/٥ وقال: حسن المتن غريب الإسناد جداً عزيز المخرج.

المطلب الثالث

الخلاصة

إنَّ حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه أكرم من أن تُحاط، وأعزُّ من أن تُستقصى، وذلك أنَّ الحوار بوصفه أسلوباً من أساليب التعليم، ووسيلة من وسائل الإقناع كانت سمة راسخة في تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه.

ولمَّا كان ذلك كذلك فقد تربَّى الصحابة رضي الله عنهم في مدرسة الحوار النبوي، ودرجوا في رحابها ثلاثة وعشرين عاماً وزيادة، وشهد عامة الصحابة ثلَّة من المواقف السنِّيَّة في مكة قبل الهجرة وفي الحديبية وفي حركة النبي صلى الله عليه وسلم واختلاطه بالناس، ومعاشرته المؤمنين المحبين والمنافقين الخادعين واليهود والنصارى، فانعكست تلك المحاورات أدباً في نفوسهم ومنهج تفكير ارتضته عقولهم، وقد أعدَّهم النبي صلى الله عليه وسلم لحمل الراية من بعده، والمُضي قُدماً في إثره، فكانوا في الموعد رجالاً.

لقد تحاور الصحب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في أخطر القضايا وأعظم المطلوبات، وردّوا أمرهم إلى كتاب الله تعالى وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم: فصدروا عنهما إلى ربوة الهداية وهضبة الأمن، وذلك حين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، ثم كان الرأي وعزم الأمر بعد تحاور وتشاور تعلموه في مدرسة أستاذ الحوار الأول النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

تم انتشار الصحب في كل وادٍ، وارتحلوا في كل وجه، علماء ربانيين يأخذون الناس بصغار العلم قبل كباره، وينشرون الهدى والسمت قبل العلم والقول، ومجاهدين محتسبين بلغوا الغاية في الشجاعة يطلبون الموت في مظانه، عازفين عن الدنيا، راغبين فيما عند الله.

وعبّاداً يصومون النهار، ويحيون الليل، فإذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في اليوم الشديد الريح، فلله أبوهم! ولله درهم! ورضي الله عنهم أجمعين من هاجر من قبل الفتح وقاتل، من أسلم بعده وكلاً وعد الله الحسنى.

المبحث السادس

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المراهقين

المطلب الأول

تمهيد وأرضية مشتركة للحوار

تمهيد :

تتميز مرحلة المراهقة بالعنفوان وفيها تنطلق شرارة النشاط الجنسي للإنسان، وتُزهر شمعة النضوج النفسي والعقلي، وأكثر المراهقين اليوم - في ظل غياب تربية متينة ومصارحة مقننة - يفجأهم هذا التحول الجسدي والنفسي القوي، فتميل بهم الرغبة الجامحة نحو تحقيق الذات، وإشباع الأنا، وتدفعهم الشهوة العارمة نحو الارتقاء في حبات الجنس الآخر في صورة علاقة آثمة متحررة من كل قيد أخلاقي أو مسلك حضاري، فيتخطى بعضهم كل الحدود، ويقفز فوق كل المكارم.

ولو نظرت لوجدت أن أكثر المدمنين على المخدرات هم من فئة المراهقين الشباب، وأكثر الانحرافات الجنسية والنفسية والفكرية إنما تنشأ وتتشكل في هذه المرحلة العمرية الخطيرة والدقيقة.

ولذا فإنَّ مرحلة المراهقة هي أخطر المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان وأكثرها تأثيراً في حياته، ولذا فإنَّ بإمكاننا قياس نجاح أمة أو تهاوي أخرى حين نرى كيف يصنع المجتمع بمؤسساته التعليمية ومحاضنه التربوية، وكيف يصنع الآباء والأمهات الذين كلفوا رعاية الرضيع والعناية بالطفل وتهذيب أخلاق الصبي؛ ليكون بذرة صالحة قبل إرساله إلى المدارس، فإنَّ رأيت عناية واهتماماً وتركيزاً في الحاليين، فاعلم أنها الأمة التي ستَعزَّز وتعلو، وإن رأيت انشغالاً عن الأبناء وعن بناء أرواحهم وعقولهم، وإحالة الأطفال والمراهقين إلى

شاشة تلفازية يستقون منها العطب، وألعاب رقمية يستلهمون منها العنف والتخريب، ولعب يقتلون في معاقرتها الوقت، ويذبحون في الانكباب عليها البراءة والطهر، فاعلم أنها أمة لن تُعزَّز، وشعب لن ينهض إلا أن يشاء الله: (وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ) ^(١).

أرضية مشتركة للحوار:

لقد كان عامة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شباباً، والنبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الشباب كانوا محط أنظار الصبية والمراهقين، فمنهم يستمدون المثل، ويتعلمون الرجولة، وإليهم يتطلعون في الاقتداء، إنها طبيعة المرحلة خصائص السن.

ومن هنا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقربهم وهم إليه يتقاربون، ويضمهم وهم نحوه يهرولون، وعلى خدمته ورفقته يتسابقون.

والمطالع المتأمل في السيرة النبوية الشريفة، يلحظ أن طبيعة علاقته صلى الله عليه وسلم بالمراهقين كانت من القوة، بحيث يعجب المرء للمكانة التي أولاهم إياها، والعوائق التي محاها، حتى صار الفتيان والمراهقون من أُلصق الناس به ومن أقربهم إليه، يلازمونه في الليل والنهار والسفر والحضر والجد واللعب، يبيتون معه، وينامون إلى جواره، ويقاسمونه محلة نومه ينام صلى الله عليه وسلم في مكان ضيق، ويفسح مكاناً لفتى يطلب الأدب، ويسعى نحو الكمال، يناولونه أدواته، ويقربون إليه مطهرته، ليلحظوا عمله حال الوضوء، ثم ينظرون هديه في ظلمة الليل في غياب العين الناظرة والصاحب المتأسي.

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: (بُتُّ عند خالتي ميمونة، فقلت لأُظننَّ إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطُرحت لرسول الله صلى الله

المطلب الثاني

نماذج من حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المراهقين

طلب غريب :

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : (إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه ، قالوا : مه مه ! .

فقال : أذنه . فدنا منه قريباً . قال : فجلس .

قال : « أتجبه لأمك ؟ » قال : لا والله ، جعلني الله فداءك .

قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » .

قال : « أفتجبه لابنتك ؟ » . قال : لا والله ، يا رسول الله ، جعلني الله فداءك .

قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » .

قال : « أتجبه لأختك ؟ » . قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

قال : « ولا الناس يحبونه لأخواتهم » .

قال : « أفتجبه لعمتك ؟ » . قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

قال : « ولا الناس يحبونه لعماتهم » .

قال : « أفتجبه لخالتك ؟ » . قال : لا والله ، جعلني الله فداءك .

قال : « ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال : فوضع يده عليه ، وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء »^(١) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده . مسند الأنصار حديث رقم ٢١٦٧٦ .

تحليل النص :

هذا شاب تعتمل في صدره نار الغريزة وفيه قوة ورجولة، وعنده ميل ورغبة، وفيه إيمان وخشية، تحرق الرغبة أوصاله، وتشوش عليه حياته . . في النفس رغائب جامحة، ونوازع قويّة، لكنّ هذه النوازع، وتلك الرغائب لا يمكن أن تدفعه إلى مجاوزة ما يعلم من تحريم الوقوع في الخطيئة، ويحول دون مقارفته السوء ما وقر في قلبه من اطلاع الله عليه وإحاطته به .

فاضطرب أمره فلم يطق صبراً عن إجابة النفس إلى ما تريد، ولم يجد سبيلاً إلى مرادها سوى أخذ الإذن والرخصة من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

فجاءه مستأذناً عاملاً بالتحريم قطعاً، وإنما يطلب إذناً خاصاً وهو يرى أنه ليس على وجه البسيطة إنساناً يلاقي من العنت ولهيب الشوق ما يعانني، فقالها في صراحة وجرأة (يا رسول الله ائذن لي بالزنا) هكذا بغير مقدمات ولا شفيع!!

موقف الناس من الطالب وما طلب :

والناس ينظرون إليه يسمعون مطلبه فيزجرونه، أتطلب هذا من هذا! تطلب الإذن في النزول من رجل العُلُو، وتَسأل الإجازة في الخَبَث من رجل الطهر، فلَمَّا زجروه حال دونهم المَعْلَم الهادي، صلى عليك الله يا أحسن المعلمين وصفوة المرين وسلم تسليمًا كثيرًا .

سمع المرابي صلى الله عليه وسلم تقريع الناس له، ورأى حنقهم عليه فدعاه دونهم، فلبى الفتى سريعاً الدعوة لما يسمع من الزجر، ولما يرى في عيون الصحب من الغضب فدنا وجلس .

التفت إليه الكريم صلى الله عليه وسلم وقد كان إذا كلم أحداً التفت إليه

بكليته، وأقبل عليه بوجهه، وبدأ مع صاحبنا هذا حواراً متدرجاً، قصير الكلمات، فيه سؤال، وفيه مساحة حرة للجواب، وبين السؤال والسؤال وقفة يسيرة للتأمل والتبصر.

في تقدير المرابي القدير صلى الله عليه وسلم نحو الطالب وما طلب، عمق وهدوء ورحمة، فهذا الذي تطلب باب من الشر العظيم، وخلفه نار رغبة جامحة، فلا مناص من إغلاق الباب وسد منافذه جميعاً، فلا يبقى في النفس فيما بعد الباب متعلق، فكيف السبيل إلى الشفاء والعافية؟

السبيل: هو الإقناع بإيقاظ العقل على حساب الهوى، واستثارة العزم على حساب الضعف.

بداية الحوار:

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم الحوار مع الشاب بأعز الناس وأحب الإناث إلى قلب كل حي. قال: أتُحبه لأُمك؟، رأيت هذا الأمر العظيم من الشر الذي جئت تسأل الرخصة فيه، أهو شيء ترضاه لأحب النساء إليك أمك!!

«لماذا بدأ بالأم»؟

بدأ بالأم ليشير الانتباه ويوقظ الحواس في أعلى مستوياتها. جاء الجواب سريعاً وحاسماً مشفوعاً بقسم بالله العظيم (لا والله، يا رسول الله)، متبوعاً بإعلان محبة فيه إشارة خفية (جعلني الله فداك) وكأنه يقول: لا والله، لا أحبه لأمي. (جعلني الله فداك) لا تقل هذا يا حبي ونبيي عن أحب النساء إلى قلبي «أمي» التي يُبذل دون عرضها المهج وتُنفق دون كرامتها الأرواح.

فجاء التعقيب من النبي صلى الله عليه وسلم أن قد فهمتُ مرادك.

أرأيت يا هذا إلى غيرتك على أمك التي تجلّت في جوابك السريع الحاسم إنها غيرةٌ تملأ قلوب الرجال أجمعين قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) وهو يريد أن ينظر الشاب إلى ما هو أبعد من الباب، فإن بعد الباب شروراً كبيرةً ومفازاتٍ خطيرة.

لم يتوقف الأمر عند حدود الغالية العزيزة « الأم » فمقصود المربي الكريم صلى الله عليه وسلم شفاء صدر الشاب، وتطهير قلبه بالكلية من هذا الباب من الشر، فاستمرّ الحوار ليشمل كلّ عزيمة وحببية إلى قلب الشاب بحسب قربها إلى قلبه ومكانتها من نفسه (ابنتك، أختك، عمّتك، خالتك) فإذا كنت لا ترضاه لذوي نسبك من المحارم؛ فإن الناس لا يرضونه، وهل النساء أيّ بلد إلا أمّ رجلٍ أو ابنةٌ آخر أو أختٌ ثالث أو عمّةٌ رابع أو خالّةٌ خامس!!
أرأيت يا أيها الشاب لهذه الغيرة التي تملأ جوانحك، إنها تملأ جوانح رجال البلد وأهل الحي فإن كان يسوؤك هذا فهو يسوؤهم، فإن لم تجد في البلد امرأةً خليّةً من صلة نسب بهذا أو ذاك فهل ترى سبيلاً لما سألت من الرخصة!!؟

إنّ الجواب يتردد في هذه اللحظة في جوف الشاب، وقد استبان له الأمر، ولكنّ النفس لها بالأمر متعلق، وهنا تظهر عظمة المربي الكريم صلى الله عليه وسلم ليزيل هذا التردد وما بقي من التعلق.

(فوضع يده عليه) ربما على رأسه أو صدره أو كتفه، لمسةً حانية من يد شريفة لامست جسد الشاب يصاحبها نظرة رحمة من المعلم الرحيم، ويجلّل اللمسة الحانية والنظرة الرحيمة دعاء يجلو ما في صدر صاحبنا هذا من النوازع الآثمة والرغائب المحرمة (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه).

فأي شيء يكون بعد هذا؟ هل تتخيلون أو تظنون أو تحسبون أنه بعد كل هذا تبقى الرغائب المحرمة أو تتحكم في سلوك صاحبنا الظنون الآثمة!!
هاكم الأثر وإيكم النتيجة:

فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء

بايع يا سلمة:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة. وعليها خمسون شاة لا تُرويهها. قال: فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا الركبة. فإما دعا وإما بسق فيها. قال: فجاشت. فسقينا واستقينا. قال: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة. قال فبايعته أول الناس. ثم بايع وبايع. حتى إذا كان في وسط من الناس قال: بايع. يا سلمة. قال قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس. قال: وأيضاً. قال: ورآني رسول الله صلى الله عليه وسلم عزلاً - يعني ليس معه سلاح - . قال: فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم حجفة أو درقة. ثم بايع.

حتى إذا كان في آخر الناس قال: ألا تبايعني يا سلمة. قال: قلت: قد بايعتك. يا رسول الله في أول الناس، وفي أوسط الناس. قال: وأيضاً. قال: فبايعته الثالثة. ثم قال لي: يا سلمة أين حجفتك أو درفتك التي أعطيتك؟ قال قلت: يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلاً. فأعطيته إياها. قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيباً هو أحب إلي من نفسي. ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض واصطلحنا^(١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير. باب غزوة ذي قرد وغيرها، برقم: ٣٤٧٣.

فضلة من شراب النبي صلى الله عليه وسلم :

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : (أتني النبي صلى الله عليه وسلم بقدرح، فشرب منه، وعن يمينه غلامٌ أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال : « يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ ». قال : ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه)^(١).

أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال : (كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوءه وحاجته فقال لي : سل، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة، قال : أو غير ذلك، فقلت : هو ذاك، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود)^(٢).

لؤلؤة حوراء من لآلي الحوار :

ما فعل شراد جملك؟ :

عن خوات بن جبير رضي الله عنه قال : نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظهران قال : فخرجت من خبائي فأذا أنا بنسوة يتحدثن فأعجبني فرجعت فاستخرجت عيبتني^(٣)، فاستخرجت منها حلة فلبستها وجئت فجلست معهن، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبته فقال : أبا عبد الله ما يجلسك معهن؟ فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هبته واختلطت قلت : يا رسول الله : جمل لي شرد فأنا أبتغي له قيذاً، فمضى، واتبعته فألقى إليّ رداءه ودخل الأراك كائي أنظر إلى بياض متنه في خضرة الأراك. ففوضى حاجته وتوضأ فأقبل والماء يسيل من لحيته على

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب المساقاة . باب في الشرب حديث رقم: ٢٢٤٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في باب فضل السجود والحث عليه برقم: ٧٥٤.

(٣) العيبُ مستودع الثياب ومنه العيبة وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٧٢٢.

صدره فقال: أبا عبد الله ما فعل شراد جملك! ثم ارتحلنا، فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال: السلام عليك أبا عبد الله، ما فعل شراد ذلك الجمل! فلما رأيتُ ذلك، تعجّلتُ إلى المدينة واجتنبتُ المسجد والمجالسة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد فأتيت المسجد فقممت أصلي، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره، فجاءة فصلى ركعتين خفيفتين، وطوّلتُ رجاء أن يذهب ويدعني، فقال: طول أبا عبد الله ما شئت أن تطول فلست قائماً حتى تنصرف، فقلت في نفسي: والله لأعتذرني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبرئن صدره، فلما قال: السلام عليك أبا عبد الله، ما فعل شراد جملك! فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت. فقال: رحمك الله ثلاثاً، ثم لم يعد لشيء مما كان^(١).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير باب الخاء حديث ٤٠٢٣ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٠٤/٩ وقال: روي من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة، وأخرج نحوه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة حديث رقم ٢٢٥٧.

المطلب الثالث

الخلاصة

أول ما نفيده من هذه القصص الرائعة هو المسافة الواجب وجودها بين المراهق و المربي؛ سواء أكان هذا المربي والداً أم أستاذاً أم أخاً أكبر، فتلاحظ فيما مضى من المواقف أنّ الشاب المراهق كان رفيقاً ملاصقاً للنبي صلى الله عليه وسلم، وتلميذاً دائماً في مدرسته إنها مدرسة بدوام كامل، لا ينفك فيها الطالب عن أستاذه، ولا يتباعد فيها المراهق عن معلمه، بل يلزمه في السفر والحضر، ويخالطه في الليل والنهار؛ لأن النفوس البشرية تتلون أحوال الحياة عليها، وتتلون تبعاً لذلك تصرفاتها وسلوكياتها، فكم من طالب نبيل في مدرسة النهار، فإذا دخل الليل رسب في أول امتحان، فضاع جهد النهار سدىً، وانمحي نبل الطالب هباءً، فأدركه الرسوب بعد ذلك في الوقتين ليلاً ثم نهاراً، وكم ضاع من الشباب، وكم زلّ من المراهقين عن سلم المجد لرفقة أصحاب سوء في ليل سوء.

ولذلك كان لزاماً على المربين والمؤدّبين أن يكون لهم في بعض أيام الزمان ولياليه اتصال مباشر بالشباب والفتى والمراهق، ليطبب منه تلون مزاجه وتنوع أهوائه.

وكم من شاب شهيم يرجى منه السمو، ويؤمل من مثله الاستقامة، تراه في الحاضرة درة الشباب وزين الرجال، فإذا سافر وتغرب عن وطنه لاحت منه الهنّات، ووردت عليه الموبقات، فضاع الأمل في غربة من وطن، وانقطع من أهل، ولذلك فإنّ سادة المربين، وخلاصة المعلمين يجد في دفتر سفره فسحة ينفذ من خلالها شاب، ويصاحب في دروبها مراهق، فتبدو للمربي في

حال السفر الزاوية الخفية من أخلاق الشاب والقطع الداكنة من تصرفاته، وما سمي السفر سفراً إلا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، ويبين عن محامدهم أو ضدها، والسفر فرصة العمر للأستاذ لينظر مباشرة في صورة الروح ومرآة النفس لتلميذه، ليوجه بعد ذلك ممسحة الأدب وماء المكارم نحوها مباشرة، ليصقل ما بهت من زواياها، ويجلو ما صدأ من أطرافها، فتكون التربية في حال السفر تربية قوية، وآثارها في نفس الشاب آثاراً باقية ومستمرة.

وكم تسمع وتقرأ في سرية نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم قول الراوي:

(بُتُّ في بيت خالتي) (١).

(وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْدِفُ) (٢).

(وَبُتُّ لَيْلَةً عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٣).

(وَصَحِبْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَرَهُ يَسْبِغُ فِي السَّفَرِ) (٤).

(وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ لَا يَزِيدُ فِي السَّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ) (٥).

(وَكُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غَلامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ) (٦).

ومثلها كثير.....

وانظر بعد: هل ترى في كل الصور السابقة إلا شباباً وفتياناً!!

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح برقم: ١١٦ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم: ٢٢٣١ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو عوانة في مستخرجه برقم: ١٨٢٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح برقم: ١٠٦٣ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري في الجمع الصحيح برقم: ١٠٦٤ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه برقم: ٢٥٢٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الأسس الحمديّة لمحاورة الشباب من خلال القصص السابقة :

إعطاء المدى الزمني اللازم للمراهق ليستوعب المراد ويفهم المقاصد .
فهم الظروف غير الاعتيادية التي يواجهها المراهق وغَلَبَة الشَّهْوَة عليه،
وسيطرة التسرّع في مقابلة التآني، واستحكام المغامرة في مقابلة الحكمة .
الملاطفة والمباشطة والابتسامَة تغلب التجهم مع كل الناس، وهي مع
الشباب والمراهق أكثر تأثيراً وأشدُّ حاجة .

تقبل تكرار الخطأ من المراهق لغلبة الاندفاع عليه، وغياب اكتمال
الحكمة، ومراعاة تدرجه في أول سلم النضج .

الملامسة الجسدية، والتقارب البدني معه، ومعرفة مواطن الإحساس
ومراكز التأثير في بدنه، ومن ذلك صدره ورأسه وأذنه وخديّه .
إبطاء عجلة الحديث لما يغلب عليه من الاندفاع والحماة لإخماد فورة
النفس وحرارة الطبيعة .

الرفق أصل من أصول المعاملات البشرية، وكلما قلّت خبرة المرء وسنّه
كان إلى الرفق أحوج .

المبحث السابع

حوار النبي صلى الله عليه وسلم في بيته

المطلب الأول

تمهيد وأرضية مشتركة للحوار

تمهيد :

(إنَّ البيوت هي الواحة التي يأوي إليها الرجل بعد عناء الكفاح، وهي الظلال التي يستظلُّ فيها من هجير الكدِّ، والزوجة الصالحة هي السكن الذي يثوب إليه الزوج من اللغوب، ويطمئن بالحلول في ضيافته عند الغروب .

تتلون بالناس الدروب، وتعظم في وجه الكادحين الخطوب، فيجد الإنسان في بيته الحبَّ بعد الجفاء، والراحة بعد العناء، والسعادة بعد الشقاء . في حضارة الألم وأمثال الشعوب : (وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة) .

وأنتى له أن يكون عظيماً! إذا عاد إلى سكنه وموئل روحه، ليجد السوء، ويواجه الشرور!! يعود من هجير الكدِّ، إلى لفح التكدِّ، فكيف يهنأ، ومتى يستريح!! يثوب من لغوب الخلق، إلى الهجر والصدِّ، فكيف يُنتج، وكيف يَنجح!!

حين تصف إنساناً بالحماد، وسعة الأفق، وبُعد النظر، وحُسن السياسة، وكمال الكياسة، لا يصحُّ أن يكون حكمك عليه من خلال ما يأتي في مجالس الناس ومنتدياتهم، بل يجب أن يكون حكمك على أساس ما يأتي في بيته؛ فالإنسان في بيته يتصرّف على سجيته، وتظهر شخصيته على طبيعتها^(١).

(١) للاستزادة انظر كتاب أسرار القيادة والتأثير، ص ١٦١-١٦٢ .

أرضية مشتركة للحوار:

يقول الله تعالى في شأن العلاقة الزوجية: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ) (١).

ويصف الزوجة بأنها قطعة من الفؤاد، وقسم من النفس، وأنها نعمة من الله عظيمة، ومنّة كريمة: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) (٢).

إن العلاقة الزوجية هي ألصق العلاقات وأقرب المسافات بين اثنين، فمن من المتقاربين يختلط اختلاط الزوجين ويتناجى ويتناجى العاشقين الطاهرين العفيفين!!

وقد يفارق الرجل أمه، ويتباعد عن أبيه، ويندُّ عن إخوته، ولكنه من حين يقابل تلك المرأة، فتقع منه بمكان لا يفارقها، ولا يبتعد، ولا يندُّ، فلا يفرِّق بينهما إلا الموت، فيالله ما أسمى هذه العلاقة! وما أكرم هذا القرب!
يُخفي الرجل همومه عن أخوته، وعن زوجته لا يستطيع، ويتجلد الرجل أمام الناس كلهم من الأهل والأقارب والأباعد، ولكنه في بيته ربما سالت وهاجت أحزانه، فهو يتصرف بحضرتها كما لو كان وحده.

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) سورة النحل: ٧٢.

وهي أيضاً تجد في زوجها الحبيب العاشق، والصديق الصادق، والأب الحنون، والأخ الرؤوم، تبثه الحزن والوجد، وتحكيمة الفرح والسعد، ولا تخفي عنه أمنية أو تكتم عنه أملاً.

فعن أيّ أرض نتحدث وقد ذابت المسافات، وتلاقت الأبدان، واختلطت الأرواح، وانمحت الفواصل، إنّ الزوجين ليسا بحاجة إلى أرضية مشتركة للحوار فهما شيء واحد، كيان واحد، ونفس واحدة، وروح واحدة.

المطلب الثاني

نماذج من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في بيته

الفؤاد الراجف :

أول حوار جرى من النبي صلى الله عليه وسلم بعد التكليف العظيم والمهمة الأعظم، هو حوار مع زوجته الرشيدة خديجة! نزلت الآية العظيمة (اقرأ) على العاكف وحيداً في الغار:

(فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع قال لخديجة: «أي خديجة، مالي، لقد خشيت على نفسي، فأخبرها الخبر»، قالت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»^(١).

تحليل النص :

خديجة .. هل يذكرك هذا الاسم بشيء؟ ألا يذكرك بالموقف العظيم في بدء تدفق النور، ونزول الرحمة من الله تعالى والسرور، حين تنزل المكين بالنور المبين، فاهتزت عروق المتلقي، وضخت في دمه القبول، وتنسم هواء الوحي صدره فالشرك والجاهلية إلى أفول، لكنه لفرط سروره وثقل ما كلف به، حصل عنده تدافع بين الفرح بالوحي والهَم بالرسالة، فتنازع الفؤاد الطيب برد الوحي وحرارة التكليف فرجف الفؤاد، ولكن صبراً فإن الأمر لم ينته هنا، فإن رَجَفَ الفؤادُ فإنَّ في الدار دفناً يذهب بكل برد، وإن

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب تفسير القرآن حديث رقم ٤٦٨٥.

اهتز الجسد فإن في البيت موثلاً راسخاً يزول عنده كل اهتزاز، إن في البيت خديجة .

خديجة ... عتبة النجاح التي رقي النبي صلى الله عليه وسلم على متنها أولى درجات الرسالة، إنها المأوى الدافئ الذي احتضن الفؤاد الراجف .

خديجة ... هي البيان البليغ، الذي أثلج صدر المزمّل، وطمأن روح المدّثر (كلا، والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتحمّل الكلّ، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق)، إنها الركن الذي أسند إليه النبي صلى الله عليه وسلم ظهره، فكانت بحق سُلّم الأمان، ومعراج الاطمئنان الذي ثبت عليه القائد العظيم في الزمن العصيب والوقت الشديد^(١).

تنام عيناى ولا ينام قلبي

عن أبي سلمة بن عبدالرحمن رضي الله عنه: (أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟. فقال: يا عائشة، إن عيني تتامان ولا ينام قلبي)^(٢).

عليك بالرفق:

عن عائشة رضي الله عنها: (أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك، قال: وعليكم. فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا عائشة،

(١) انظر كتاب أسرار القيادة والتأثير ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب صلاة الليل برقم: ١٢٦٤.

عليك بالرفق، وإياك والعنف، أو الفحش، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلت، رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيي) (١).

الرضاعة من المجاعة:

دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجل. قال: (يا عائشة من هذا. قلت: أخي من الرضاعة، قال: يا عائشة، انظرن من إخوانكن، فإنما الرضاعة من المجاعة) (٢).

ريح وغيم:

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم. قالت: وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأته عرف في وجهك الكراهية؟ فقال: (يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا) (٣).

بئس أخو العشيرة:

عن عائشة رضي الله عنها: (أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: (بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة). فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الدعوات. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يستجاب لنا» برقم: ٦٠٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الشهادات. باب الشهادة على الأنساب برقم: ٢٥٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب تفسير القرآن. باب قوله تعالى: (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) برقم: ٤٥٦٣.

قالت عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسبت إليه؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة، متى عهدتني فحاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاءً شراً^(١).

ينظر بعضهم إلى بعض:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً. قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)^(٢).

كأن نخلها رؤوس الشياطين:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سُحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليُخِيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه، ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، قلت: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق، قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان. قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين، قلت:

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الأدب. باب «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا منفحشاً». برقم: ٥٧٠٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها. باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة برقم: ٥٢٢٩.

يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً. وأمر بها فدفنت) (١).

الشهر تسع وعشرون:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدأ بي، فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن، فقال: إن الشهر تسع وعشرون، ثم قال: يا عائشة! إني ذاك لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك. ثم قرأ علي الآية: يا أيها النبي قل لأزواجك. حتى بلغ: أجراً عظيماً. قالت عائشة: قد علم، والله! أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه. قالت فقلت: أو في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قال معمر: فأخبرني أيوب: أن عائشة قالت: لا تخبر نساءك أني اخترتك. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله أرسلني مبلغاً ولم يرسلني متعنتاً. قال قتادة: صغت قلوبكما: مالت قلوبكما) (٢).

عصافير الجنة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار. فقلت: يا رسول الله! طوبى لهذا. عصفور من عصافير الجنة! لم يعمل السوء ولم يدركه. قال «أو غير ذلك، يا عائشة! إن الله خلق للجنة أهلاً. خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم. وخلق للنار أهلاً. خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم) (٣).

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الطب. باب السحر برقم: ٥٤٥٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق. باب في الإيلاء برقم: ٢٧٩٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر. باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار برقم: ٤٩٣٨.

أو قد جاء شيطانك :

عن عائشة رضي الله عنها : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً .

قالت فغرت عليه . فجاء فرأى ما أصنع . فقال « مالك؟ يا عائشة! أغرت؟ فقلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقد جاءك شيطانك؟ » قالت : يا رسول الله! أو معي شيطان؟ قال « نعم » ، قلت : ومع كل إنسان! قال « نعم » ، قلت : ومعك يا رسول الله ، قال « نعم » ، ولكن ربي أعاني عليه حتى أسلم)^(١) .

خيال تطير :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غزوة تبوك - أو خيبر - وفي سهوتها ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر ، عن بنات لعائشة - لُعب - فقال : ما هذا يا عائشة؟ قالت : بناتي! ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاد ، فقال : ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت : فرس ، قال : وما هذا الذي عليه؟ قالت : جناحان ، قال : فرس له جناحان؟ قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه)^(٢) .

زينة عائشة :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى في يدي فتحات من ورق فقال : ما هذا يا عائشة ، فقلت : صنعتهن أتزين لك يا رسول الله ، قال : أتؤدين زكاتهن؟ قلت : لا ، أو ما شاء الله ، قال : هو حسبك من النار)^(٣) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار . باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتة الناس وأن من كل إنسان شيطان ، برقم : ٥١٦٠ .
(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب . باب في اللعب بالبنات ، برقم : ٤٣٤٠ .
(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة . باب الكنز وما هو زكاة الحلي ، برقم : ١٣٦٩ .

أفيك يا رسول الله؟

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوجد الناس جلوساً ببابه . لم يؤذن لأحد منهم . قال : فأذن لأبي بكر . فدخل . ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له . فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالساً ، حوله نساؤه . واجماً ساكتاً . قال فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله ! لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقممت إليها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « هن حولي كما ترى . يسألنني النفقة . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها . فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها . كلاهما يقول : تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده . فقلن : والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أبداً ليس عنده . ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين . ثم نزلت عليه هذه الآية : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكِحَ غَيْرَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُ) . قال : فبدأ بعائشة . فقال : « يا عائشة ! إنني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبيك » . قالت : وما هو يا رسول الله ! فتلا عليها الآية . قالت : أفيك يا رسول الله؟! أستشير أبي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة . وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت . قال : « لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها . إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً . ولكن بعثني معلماً ميسراً »^(١) .

حوار الفقيه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ، برقم : ٢٧٩٢ .

في المسجد . فقال : « يا عائشة ناوليني الثوب » فقالت : إني حائض .
فقال : « إن حيضتك ليست في يدك » فناولته (١) .
أشدُّ آية :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (قلت : يا رسول الله إني لأعلم أشد آية القرآن قال آية آية يا عائشة ، قالت : قول الله تعالى : (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) قال : أما علمت يا عائشة أن المؤمن تصيبه النكبة أو الشوكة فيكافأ بأسوأ عمله ، ومن حوسب عذب قالت : أليس الله يقول : (فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا) قال : (ذاكم العرض يا عائشة من نُوقِشَ الحِسابُ عُذِبَ) (٢) .

ما يبكيك يا عائشة؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لبينا بالحج حتى إذا كنا بسرف حضت فدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال : ما يبكيك يا عائشة؟ فقلت : حضت ليتني لم أكن حججت ، فقال : سبحان الله! إنما ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم فقال : انسكي المناسك كلها غير أن لا تطوفي بالبيت ، فلما دخلنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شاء أن يجعلها عمرة فليجعلها عمرة إلا من كان معه الهدى قالت وذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر يوم النحر ، فلما كانت ليلة البطحاء وطهرت عائشة قالت : يا رسول الله ، أترجع صواحيبي بحج وعمرة ، وأرجع أنا بالحج فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن بن أبي بكر فذهب بها إلى التنعيم فلبت بالعمرة) (٣) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحيض . باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها ، برقم : ٤٨٤ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجنائز . باب عيادة النساء ، برقم : ٢٧٢٢ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب المناسك . باب في أفراد الحج ، برقم : ١٥٤٩ وأصله في البخاري مختصراً في كتاب الحيض برقم : ٢٩٠ .

تربت يمينك يا عائشة :

عن عائشة رضي الله عنها : (أن أم سليم الأنصارية هي أم أنس بن مالك قالت : يا رسول الله، إن الله عزَّ وجلَّ لا يستحيي من الحق أرأيت امرأة إذا رأت في النوم ما يرى الرجل أتغتسل أم لا؟ قالت : عائشة : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم، فلتغتسل إذا وجدت الماء قالت عائشة : فأقبلت عليها فقلت : أف لك! وهل ترى ذلك المرأة؟، فأقبل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تربت يمينك يا عائشة، ومن أين يكون الشبه؟!)^(١).

ذريني أتعبد لربي :

عن عطاء قال : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا فقال: أقول يا أمة كما قال الأول: زُرْ غِبًّا تزدد حبًّا، قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فسكتت ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي، قال: (يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي قلت: والله إني أحب قربك، وأحب ما يسرك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته. قالت: ثم بكى حتى بلَّ الأرض. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد أنزلت علي الليلة آية؛ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ^(٢) الآية كلها^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة. باب في المرأة ترى ما يرى الرجل، برقم: ٢١٧.

(٢) آل عمران: ١٩٠.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلص لزوم البكاء، برقم: ٦٢١. وأصله في صحيح مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، برقم: ٥١٧١.

حوار المريض :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (رجع إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالقيع، وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، قال: بل أنا يا عائشة وارأساه، ثم قال: وما ضرك لو متّ قبلي، فغسلتك، وكفنتك، وصليت عليك ثم دفنتك؟. قلت: لكأني بك أن لو فعلت ذلك، قد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بُدئ في وجعه الذي مات فيه) (١).

الذي يخاف الله عزّ وجلّ :

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (يا رسول الله في هذه الآية: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)، يا رسول الله، أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله؟ قال: لا يا بنت أبي بكر، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عزّ وجلّ) (٢).

أصحاب الشجرة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى، يا رسول الله! فانتهرها، فقالت حفصة: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله عزّ وجلّ: (ثُمَّ نُجِّبِ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) (٣).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ - باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٦٦٩٨. وقال الألباني في مشكاة المصابيح ٥٩١٧ حديث حسن.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده في مسند الأنصار برقم: ٢٤٦٦٢ وأخرجه الترمذي في سننه بنحوه في كتاب الذبائح - أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة المؤمنون برقم: ٣٢١٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم، حديث رقم: ٤٦٧٥.

ويل للعرب :

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت : (أن رسول الله دخل عليها يوماً فزعاً يقول : (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بن جحش : قلت : يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم، إذا كثر الخبث)^(١).

أين كنت منذ اليوم؟

عن فاطمة الخزاعية قالت : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول يوماً : دخل عليّ يوماً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أين كنت منذ اليوم؟ قال : يا حميراء كنت عند أم سلمة، فقلت : ما تشبع من أم سلمة؟ قالت : فتبسم، فقلت : يا رسول الله، ألا تخبرني عنك لو أنك نزلت بعدوتين؛ إحداهما لم تُرَعِ والأخرى قد رُعيتُ أيهما كنت ترعى؟ قال : التي لم تُرَعِ، قلت : فأنا ليس كأحد من نسائك، كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجلٍ غيري، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٢).

وجدتُ برد قدميه على بطني :

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه : (أن فاطمة عليها السلام أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحي، وبلغها أنه جاءه رقيق، فل تصادفه، فكذتر ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال : على مكانكما فجاء فقعد بيني وبينها، حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال : ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما - أو أويتما إلى فراشكما -

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الفتن . باب يأجوج ومأجوج برقم : ٦٧٤٩ .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى . ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم : ٩٦٨١ .

فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، وكبراً أربعاً وثلاثين، فهو خير لكمما من خادم^(١).

لؤلؤة حوراء من لآلئ الحوار:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما كانت ليلتي التي هو عندي - تعني: النبي صلى الله عليه وسلم -، انقلب فوضع نعليه عند رجليه، ووضع رداءه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فلم يلبث إلا ريثما ظن أنني قد رقدت! ثم انتعل رويداً وأخذ رداءه رويداً، ثم فتح الباب رويداً، وخرج، وأجافه رويداً، وجعلت درعي في رأسي، واختمرت وتقنعت إزاري، وانطلقت في إثره، حتى جاء البقيع، فرفع يديه ثلاث مرات، وأطال القيام، ثم انحرف، فانحرفت، فأسرع، فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر، فأحضرت، وسبقته، فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل. فقال: مالك يا عائش، حشياً رابية؟ - الحشا: هو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه - قالت: لا، قال: «لتخبرني، أو ليخبرني اللطيف الخبير، قلت: يا رسول الله، بأبي وأمي، فأخبرته الخبر قال: «فأنت السواد الذي رأيت أمامي، قالت: نعم، قالت: فلهديني في صدري لهدأة أوجعتني، ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت: مهما يكتم الناس فقد علمه الله، قال: «نعم» قال: فإن جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت، ولم يكن يدخل عليك، وقد وضعت ثيابك، فناداني، فأخفى منك، فأجبتته فأخفيت منك، فظننت أن قد رقدت، وخشيت أن تستوحشي، فأمرني أن آتي أهل البقيع، فأستغفر لهم^(٢).

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب النفقات. باب عمل المرأة في بيت زوجها، برقم: ٥٠٦٤.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب الجنائز وتمني الموت. باب الاستغفار للمؤمنين برقم: ٢١٤٠. وقال الألباني في تعليقه على سنن النسائي:

صحيح، وأصله في صحيح مسلم في كتاب الجنائز. باب ما يقول عند دخول القبور والدعاء لأهلها برقم: ١٦٨١.

المطلب الثالث

الخلاصة

قال الله تعالى: (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبَلَةَ الْأُولِينَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ) (١).

وقد كان للنبي محمد صلى الله عليه وسلم على كل الرجال منزلة لا يضاهيه فيها أحد، ولا يقترب فيها منه إنسان كونه اصطفى للرسالة واختير للبلاغ، وختمت به الرسالات، إلا أن ذلك كله لم يمنع نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم من أن يكون محاوراً بارعاً في بيته.

فلقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحوار على الأمر، وقدم التجاوب بالحسنة على القهر، وكانت زوجاته رضي الله عنهن يراجعن في كل الأمور، وذلك لما وجدوا من سماحة نفسه وخيريته وهو القائل: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) (٢).

(١) النساء: ٣٤.

(٢) أخرجه ابن حبان في كتاب الحج، باب الهدى، ذكر استحباب الاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم للمرأة في الإحسان برقم: ٤٢٤٤.

المبحث الثامن حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الملائكة المطلب الأول تمهيد وأرضية مشتركة للحوار

تمهيد :

قال تعالى : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)^(١).

لقد اختار الله تعالى من ملائكته ثلة خصّهم بالتشريف وحباهم الفضل، واصطفى من هؤلاء جبريل عليه السلام، فخصّه بأشرف مهمة وأعظم تكليف : (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ)^(٢)، فجبريل عليه السلام من خير الملائكة وأعلاهم منزلة، وأظهرهم شرفاً وفضلاً.

ولقد اصطفى رب العالمين من البشر أنبياء ورسلاً من خيرة عباده، واصطفى ثلة منهم، هم أولو العزم من الرسل : (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ)^(٣) وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

واصطفى من أولي العزم من الرسل محمداً صلى الله عليه وسلم، واختاره على العالمين وأرضاه وقربه إلى منزلة لم يبلغها نبي مرسل، ولا ملك مقرب : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ

(١) سورة الحج: ٧٥.

(٢) سورة الشعراء: ٢٩١-٢٩١.

(٣) سورة الأحقاف: ٣٥.

الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١).

وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم لقاءات مع جبريل عليه السلام حتى قبل أن يبعث كما في حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم صبياً مسترضعاً في بني سعد، ثم نبياً مختاراً في الغار، ومبعوثاً بالطمأنينة حين قالت امرأة من قريش: (أرى شيطانك قد قلاك) فجاء جبريل عليه السلام بالوحي وتتابع وحمي: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) (٢).

وقد صحب جبريل عليه السلام سيد الملائكة سيد البشر محمداً صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء، وفي صعوده في معراج السماء، ثم استأخر جبريل، ومضى النبي محمد صلى الله عليه وسلم لمراد ربه فدنا وتدلّى. وهكذا فإن علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بجبريل وملك الجبال كما سيأتي هي علاقة حبّ متبادل، وتقدير ظاهر، وإقرار بالفضل والمنزلة، وقد شاور النبي محمداً صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة وفي مسائل عظيمة ليس هذا محل بيانها، وإنما أردت بيان الأرضية المشتركة للحوار، وهي أظهر من أن تبين، وأجلى من أن تجلّى.

(١) سورة النجم: ٨-١١.

(٢) سورة الضحى: ٣.

المطلب الثاني

نماذج من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع الملائكة

النبي صلى الله عليه وسلم مهموماً :

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (يا رسول الله! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال) لقد لقيت من قومك. وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة. إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال. فلم يجبني إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب. فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني. فنظرت فإذا فيها جبريل. فناداني. فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك. وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ. ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال. وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك. فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين). فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً)^(١).

أمة الأميين:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال: يا جبرائيل، إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف)^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير. باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين برقم: ٢٤٥٣.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الذبائح. أبواب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء نزول القرآن على سبعة أحرف برقم: ٢٩٧٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وضعت السلاح:

عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح، واغتسل فأتاه جبريل وقد عصب رأسه بالغبار، فقال: وضعت السلاح فوالله ما وضعت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأين؟ قال: ها هنا، وأومأ إلى بني قريظة، قالت: فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) (١).

بشارة جبريل:

عن المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذرٍّ يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق) (٢).

سبعون ألفاً لا حساب عليهم:

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عرضت عليّ الأمم، فأجد النبي يمر معه الأمة، النبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمّتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قد أمهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتبون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ريهم يتوكلون. فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: أدع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام إليه رجل آخر قال: أدع الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عكاشة) (٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير - باب الفسل بعد الحرب والغبار، برقم: ٢٦٨٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان - باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، برقم: ١٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الرقاق - باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، حديث رقم ٦١٩٨.

لؤلؤة حوراء من لآلى الحوار:

تواضع لربك يا محمد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جلس جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل هذه الساعة، فلما نزل قال: يا محمد! أرسلني إليك ربك؛ أملكاً جعلك لهم أم عبداً رسولاً؟ قال له جبريل: تواضع لربك يا محمد! فقال صلى الله عليه وسلم: لا بل عبداً رسولاً^(١)).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ. باب ذكر وصف مفاتيح خزائن الأرض حيث أتى صلى الله عليه وسلم برقم: ٦٤٦٣. وقال الألباني في تعليقه على الترغيب والترهيب ٣٢٨٠: صحيح.

المطلب الثالث

الخلاصة

الملائكة الكرام هم سند الأنبياء، رحمة للعالمين وعون بأمر الله للصالحين، رافقوا النبي صلى الله عليه وسلم منذ فجر الرسالة حين ضمه جبريل في الغار وغطه، وتبدى جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم صورته العظيمة وخلقته المهيبة بعد ذلك، وصحب جبريل يوماً معه ملك الجبال بعد الضر الذي نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم حين آيس أو كاد من تصديق قريش به، فأتى الطائف فلقي من أهلها العنت والسوء، فصدوه وطرده، فشكا إلى الله ضعف قوته وقلة حيلته، وكان عند ملك الجبال إذن الله تعالى، إن أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطبق على أهل مكة الجبلين، فاستشرف النبي صلى الله عليه وسلم المستقبل القريب ووعى درس النبوة جيداً، وتأمل أن يخرج من أصلاب هؤلاء المكذبين موحدون أبرار يعبدون الله لا يشركون به شيئاً. ثم صحب جبريل النبي صلى الله عليه وسلم أشرف إسراء وأعظم معراج، يترقى به سماء بعد سماء، ورأى على كل سماء حارسها من الملائكة، وجبريل يستفتح له، والأنبياء يرحبون به صلى الله عليه وسلم، ثم رأى (جبريل مرة أخرى عند سدرة المنتهى في صورته وله ستمائة جناح ينتشر من جناحه تهاويل الدر والياقوت) (١).

وغزا النبي صلى الله عليه وسلم وغزا معه جبريل والملائكة عليهم السلام، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُسأل عن الشيء فلا يعلم الجواب، فيجيب ويقول (أخبرني بهن جبريل آنفاً) ولذا فلقد كانت الملائكة الحكرام

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ برقم: ٦٥٢٧.

وجبريل عليه السلام على الخصوص، في ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة، وقد انتفع النبي صلى الله عليه وسلم من ملازمة جبريل، فاستشاره في جملة أمور، كان يعارض القرآن وجرت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم حوارات يسيرة أشرت إلى بعضها آنفاً، وخلاصة القول: فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أفاد من رفقة جبريل كما يفيد الرجل من الصديق الصادق، والأخ المخلص.

الخاتمة

المقالات والكتب المعاصرة حول موضوع البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتطيب الحياة، له الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير، أحمده سبحانه وتعالى أبلغ الحمد وأحسنه على تفضله بالإعانة، والتيسير مع كثرة المشاغل، وتعدد المسؤوليات، وقد امتن الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (١).

وفي المحصلة فإنَّ المطالع لما هو موجود في المكتبة الإسلامية حول هذا الموضوع يجد فقراً بيناً وقلة ظاهرة، في موضوع «الحوار في السيرة النبوية»؟ ولقد تعجبت وأنا أطلع في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت من تكاثر النماذج الحوارية، وتمكن الحوار بوصفه أصلاً من أصول الهداية، كل زاوية من زوايا السيرة ومع مختلف الطوائف والأمم وعديد الناس.

فلقد اعتمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم الحوار بوصفه أظهر الأساليب التعليمية، وأقرب السبل المؤثرة في الآخر، والتي تحرك فيه نوازع التفكير وإعمال العقل، وتعطيه الفرصة للمشاركة في صياغة نقاط التلاقي، وأن يمد يده إلى مواطن الخلاف ليرمم منها ما بلي، ويجصص منها ما تهدم، لكي يصل وأخوه الإنسان في الطرف المقابل إلى رؤية متطابقة تحيل العداوة إلى صداقة، والضعينة إلى حبٍّ، كهدف أسمى ومحصلة قوية للتحاور والتجاوب.

وإن لم يكن ذلكم حاضراً، فلا أقلَّ من التفاهم الذي يؤدي إلى تناغم

الأمم، وانقشاع الظلل عن أعين الخلاف والتدابير والحروب والتناحر، ليشرق فجر التحاجج والتحاور والنظر، ولتبدي كل أمة ما لديها، وتظهر كل طائفة مكنونات الحق الذي تعتقد أنه معها، ولعن اعتمدت الأمم هذا المسلك طريقاً ثابتاً ومسلماً أساسياً، فإن البشرية سوف تنعم بنعيم لم تشهده منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إمام المحاورين وصفوة المجادلين بالحسنى، وأفصح من تكلم، وأبلغ من أتر، وأجلى من هدى.

يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء :

إن حوار المسلمين مع أصحاب الأديان الأخرى مستمر ومتصل، فهو مسطور في القرآن الكريم، فقد قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتِّمُّوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْكَافِرِينَ)^(١).
وقال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأْتِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)^(٢).

فتعالوا نتحاور ونتجادل بالحسنى وعن عقائدنا نبين، إن المسلم عندنا لا يعدّ مسلماً إذا انتقص موسى أو عيسى عليهما الصلاة والسلام، فضلاً عن أن يكفر بهما، وانظروا ماذا يفعل سفهاؤكم مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، منه يسخرون، وعليه يتندرون، وصورته الوضيئة يشوهون، ثم يحمى هذا التطاول، وتبرر هذه الإساءة، بحجج متهافئة وواهية.

وانظروا ونقبوا وفتشوا بكل ما قدرتم عليه من التقنية ووسائل الاتصال

(١) سورة المائدة: ٦٨.

(٢) سورة الأنعام: ٩١.

وأدوات البحث، هل تجدون مسلماً بعد ما جرى من سفهائكم من العدوان الظالم، هل رأيتم مسلماً تطاول على شخص المسيح عليه السلام، أو انتقص من قدره، أو ألمح إليه بعب في خلقه أو خلق؟ كلا لم يحصل ذلك.

أو تدرّون لِمَ؟ لأننا ربّنا أبناءنا على تعظيم قدر الأنبياء، وحبهم، وتبجيلهم، ووضعهم في المنزلة البشرية التي هم أهل لها، فهم بشر اصطفاهم الله وفضلهم على الناس أجمعين، واختارهم على علم على العالمين.

وكتابتنا القرآن الكريم العزيز الذي داسه بعض سفهائكم، ومسحوا بورقه الحبير الطاهر سوءاتهم الآثمة، وألقوه في المراحيض، كتابتنا العزيز هذا هو سرّ تقديس أبناء المسلمين الأنبياء؛ سواء في ذلك المتدين منهم أو المقصر في أمر دينه، هذا الكتاب هو سرّ تقديسهم الأنبياء وإجلالهم المرسلين.

فكم هو البون بين أبنائنا وأبنائكم والمقصرين من أبنائنا وسفهائكم، وسألو لكم على ثقة من ديني، كما قال نبيي صلى الله عليه وسلم لأسلافكم: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (١).

فإن أبيتكم فما حيلتي إلا أن أدعو الله تعالى كما فعل نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: (اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، أهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) (٢).

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين. باب الدعاء في صلاة الليل وفيامه، برقم: ١٣٢٨.

المقالات والكتب المعاصرة

حول موضوع البحث

- ١ - قراءة في كتاب « القرآن والتوراة والإنجيل والعلم » لموريس بوكاي للكاتب نور الإسلام، الأزهر وأصله مقال بمجلة رسالة المسجد العدد الخامس شوال ١٤٢٤هـ / ديسمبر ٢٠٠٣م.
- ٢ - الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد زمزمي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م دار التربية والتراث.
- ٣ - حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود، محسن عبدالناظر، دار الدعوة، الكويت، ط ١، (١٤٠٩هـ)، (١٧٠) ص.
- ٤ - أسلوب الحوار النبوي بين إقناع العقل وإثارة الوجدان، هاشم عبدالرحمن، الناشر: خاص، مصر، ط ١، (١٤٢٠هـ) (٩٥) ص.
- ٥ - الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع، تيسير محجوب الفتياي، مركز الكتاب الأكاديمي: عمان - الأردن - ط ١، (١٤٢٠هـ)، (٢٤٩) ص.
- ٦ - في أصول الحوار إعداد وحدة البحوث بالندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مؤسسة الطباعة الصحافة والنشر - جدة.
- ٧ - الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني.

المراجع

المصادر والمراجع

• حرف الألف

أسرار القيادة والتأثير من سيرة أعظم قائد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قيمان، سليمان بن عوض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، دار الخراز. الإصابة في تمييز الصحابة

العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، عالم الكتب، بيروت لبنان، دون تاريخ.

• حرف الباء

البداية النهاية

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) تحقيق د. أحمد أبو ملحم ود. علي نجيب عطوي وفؤاد السيد ومهدي ناصر الدين وعلي عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

بذل المجهود في أبي داود

للشيخ خليل بن أحمد السهانفوري بتعليق / محمد زكريا الكاندهلوي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

• حرف التاء

تاج العروس من جواهر القاموس

المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (ت ١٢٠٥هـ) تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

الترغيب والترهيب

المنذري، زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت ٥٦٥٦هـ) تحقيق محيي الدين مستو، وسمير العطار ويوسف بديوي، دار ابن كثير دمشق ط ١، ١٤١٤هـ.

تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي

المباركفوري، أبو العلي محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم (ت ١٢٨٣هـ - ١٣٥٣م) بتحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر دون تاريخ.

• حرف الجيم

جامع البيان في تأويل آي القرآن بالقرآن

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) دار الفكر بيروت لبنان. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م دون تاريخ.

الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذي

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) بتحقيق وشرح أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

• حرف الدال

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة

البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق وتعليق د. عبدالمعطي قلعجي ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين

الصدريقي، محمد بن علان (ت ١٠٥٧هـ) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دون تاريخ.

• حرف الزاي

زبدة التفسير من فتح القدير

الأشقر، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، مؤسسة الرسالة، دمشق،
ط ٤، ١٤٠٩ هـ.

• حرف السين

سنن ابن ماجه

أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق وتعليق / محمد
فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة، بيروت، دون تاريخ.

سنن أبي داود

السجستاني، سليمان بن الأشعث السجستاني (- ٢٧٥ هـ) تحقيق عزت
الدعاس وعادل السي، دار الحديث، حمص: ط ١، ١٣٨٨ هـ.

سنن الدارمي

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي
تحقيق د. مصطفى ديب البغا، ط ١، دار القلم بيروت، ١٤١٢ هـ.

السنن الكبرى

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) دار الفكر، بيروت،
دون تاريخ.

السنن الكبرى

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ) تحقيق د.
عبد الغفار البنداري وسيد كسروي خست، دار الكتب العلمية، بيروت،
ط ١، ١٤١١ هـ.

سنن النسائي

النسائي، أبو (ت هـ) ترقيم وفهرست الشيخ / عبدالفتاح أبو غدة،
مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٤٠٩ هـ.

سير أعلام النبلاء

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) تحقيق جماعة من الأساتذة، مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤١٢هـ.

السيرة النبوية

ابن هشام، (ت ٢١٣هـ) تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار الثقافة العربية، بيروت، دون تاريخ.

• حرف الصاد

صحيح البخاري

البخاري، أبو إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ضبط وترقيم وتعليق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق، ط ٤، ١٤١٠هـ.

صحيح مسلم

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ، ١٩٨٨م.

• حرف الفاء

فتح الباري شرح صحيح البخاري

العسقلاني، ابن حجر (ت هـ) بتحقيق الشيخ / عبدالعزيز بن باز، وترقيم الشيخ / محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، دون تاريخ.

فقه السيرة

الغزالي، محمد الغزالي، بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، دار الريان للتراث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ.

فتح القدير

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ) دار الكتب العلمية، دون تاريخ طبع.

• حرف القاف

القاموس المحيط

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

• حرف اللام

لسان العرب

ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ.

• حرف الميم

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) دار الكتاب العربي، بيروت: ط ٣، ١٤٠٢هـ.

المستدرک علی الصحیحین

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ) دار الكتاب العربي بيروت، دون تاريخ.

المسند

أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) تحقيق أحمد شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٢هـ.

المصنف

ابن أبي شيبه، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ) الدار السلفية، الهند، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

المعجم الأوسط

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) تحقيق د. محمود الطحان. ط ١، مكتبة المعارف، الرياض ت ١٤٠٥هـ.

المعجم الكبير

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) تحقيق حمدي
عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، دون تاريخ.
الموطأ

إمام دار الهجرة، مالك بن أنس بن مالك رضي الله عنه وعن أبيه، دار
الحديث، القاهرة، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دون تاريخ طبع.

• حرف النون

النهاية في غريب الحديث والأثر

الجزري، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت هـ)، تحقيق محمد
طاهر الزاوي ومحمود محمد الطناجي، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

